علوم القرآن عند أبي الحسن الندوي

د/ يحيي عبدالحي عبدالرحيم عفيفي

مدرس التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - فرع طنطا

ملخص البحث

يعالج هذا البحث بصفة أساسية نظرات وتأملات أبي الحسن الندوي؛ في بعض مسائل علوم القرآن؛ التي حوتها بعض كتبه؛ وذلك باستخراج المسألة من مؤلفاته المتعلقة بالدراسات القرآنية؛ ثم عرضها ودراستها؛ فشملت الدراسة موضوعات: أسباب النزول، والمناسبات، والمبهمات، والتفسير، والقَسَّم.

Research Summary

This research deals mainly the views and reflections of Abulhassan al-Nadawi; some of the issues of the sciences of the Qur'an; some of which were inspired by some of his books; and the extraction of the issue from his books related to the Qur'anic studies, then view and study it.

The study covered the following topics: Causes of descent, events, seizures, interpretation, and alqassam.

قال تعالى:

" يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ".

(سورة البقرة الآية ٢٩٦)

ذكر البغوي في تفسيره (١/٣٣٤):" عن ابن عباس وقتادة قالا (الحكمة): علم القرآن : ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه، وأمثاله" .

المقدمـة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه (كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

أحمده سبحانه علي أن خصنا بالقرآن العظيم والنور المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، علم القرآن، وجعله معجزة خاتم أنبيائه باقية ما بقي الزمان.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله المؤيد بهذا القرآن صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً دائماً إلي يوم الدين،

وبعد

فإن أعظم النعم التي يغبط صاحبها عليها، نعمة حفظ القرآن وفهمه، والعمل به، ولا شك أن علم علوم القرآن هو مفتاح الدخول إلي فهم القرآن وتفسيره ولما كان – لعلوم القرآن– هذه المنزلة السامية والمكانة الرفيعة، فقد اعتنى به العلماء في القديم والحديث، فمنهم من اختصه بتأليف مستقل، ومنهم من تطرق إلي بعض مباحثه في ثنايا مؤلفات أخرى، فمن أصحاب القسم الثاني :الإمام أبو الحسن الندوي، أحد علماء العصر، الذي ذاع صيته واشتهر ذكره، فقد كان له نظرات وتأملات في بعض مسائل علوم القرآن في تضاعيف بعض كتبه، وفي هذا البحث محاولة لإبراز بعض هذه النظرات، وفي الوقت نفسه إشادة بفضل هذا الإمام وبقيمته العلمية.

حدود الدراسة:

عُرف الشيخ الندوي بكثرة التأليف، وقد أحصى له بعض المهتمين بسيرته التأليفية سبعاً وسبعين ومائة كتابا ما بين كبير وصغير.

وقد اكتف البحث بكتبه المختصة بالدراسات القرآنية، وهي: تأملات في سورة الكهف، المدخل إلي الدراسات القرآنية، تأملات في القرآن الكريم، دراسات قرآنية، قصة دراستي القرآنية.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

- أما التمهيد فهو عن عصر الإمام وأحواله السياسية والاجتماعية والعلمية، والدينية.

وعن ولادته ونشأته، وتعليمه، وأساتذته، وحياته العلمية، وأهم المناصب التي تولاها، ومؤلفاته، وثناء العلماء عليه، ووفاته.

- **وأما المبحث الأول:** فعن أسباب النزول.
- **والمبحث الثاني:** فعن علم المناسبة.
- **والمبحث الثالث:** فعن علم المبهمات.
- **والمبحث الرابع:** فعن علم تفسير.
- **والمبحث الخامس:** فعن أقسام القرآن.
- **وأما الخاتمة:** ففيها أهم النتائج التي انتهى إليها البحث، وكانت الدراسة وفق القواعد العلمية المتعارف عليها ،من عزو للآيات القرآنية، وتخريج للأحاديث النبوية، ونسبة كل قول إلي قائلة، وغير ذلك.

ولما كان التصنيف في موضوعات علوم القرآن وترتيبها وتحديدها في كتب علوم القرآن، يختلف من مؤلف لآخر، فقد سار البحث على تقسيم بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي(ت ٧٩٤)، صاحب البرهان في علوم القرآن، لشهرته العلمية في هذا المجال؛ ولكونه من أجمع الكتب

لعصارة أقوال المتقدمين وصفوة آراء المحققين حول القرآن الكريم، ولإشادة السيوطي به، وعده أصلا من الأصول التي بنى عليها كتابه، فقد ذكر سبب النزول في النوع الأول من موضوعات علوم القرآن، ومعرفة المناسبات بين الآيات في النوع الثاني، وجعل في النوع السادس علم المبهمات، ومعرفة تفسيره وتأويله في النوع الحادي والأربعين، وذكر في النوع السادس والأربعين، أساليب القرآن وفنونه البليغة، واعتبر أقسام القرآن من القسم الثامن عشر من هذه الأساليب .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يبيض به وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) البقرة/ ٢٨٦

التمـهيد

أبو الحسن الندوي عصره وحياته ونشأته ووفاته

- **أولاً: عصره.**
  - **الحالة السياسية:**

عاش أبو الحسن الندوي في القرن الرابع عشر الهجري، العشرين الميلادي، ولا شك أن الإنسان يتأثر ببيئته السياسية، لا يستطيع أن يعيش بمعزل عنها، يقول الندوي: إن العصر الذي يولد فيه الإنسان، والعالم الذي يعاصره، والمجتمع الإنساني الذي يعيش فيه هو كالنهر الجاري، تتصل كل موجة فيه بالموجة الأخرى وتتسق معها، فلا يمكن أن يبقى بلد مهما كان بعيداً نائياً يعيش في عزلة عن سائر العالم، غير متأثر بالأحداث الخطيرة والثورات العظيمة، والقوى المتحاربة، والحركات المؤثرة القوية، التي تجري في بلدان العالم الأخرى(١).

وفي عصر الندوي القرن الرابع عشر الهجري، العشرين الميلادي حافلاً بالأحداث العظام من أهمها وأعظمها سقوط الخلافة العثمانية في ٣٠ مارس ١٩٢٤م، وتغلغل النفوذ الأجنبي الذي بدأ يحكم خناقه علي العالم الإسلامي وسيطرته علي بلاد الهند سيطرة محكمة، ثم زرع إسرائيل شوكة في ظهر العالم الإسلامي(٢).

- **الحالة العلمية:**

أيقن الاحتلال الغربي الماكر أن التعليم هو أفضل وسيلة للسيطرة علي الشعوب، وتحطيم عقيدتها، وإذابة شخصيتها، فأسسوا المدارس التبشيرية والتنصيرية، وقسموا التعليم إلي ديني وعلماني.

يقول الشيخ الندوي – مصوراً أثر ذلك– لقد جرف نظام التعليم الغربي الشباب الإسلامي في البلاد العربية والعجمية، الذين كانوا زبدة

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ الندوي، ص ١٧، دار القلم، الكويت، ١٤١٤هـ.
(٢) أبو الحسن الندوي، الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، ص ٧١، سيد عبد الماجد الغوري.

أمتهم، وزهرة بلادهم، وغير عقليتهم إلي حد أن عقولهم أصبحت لا تستطيع أن تصيغ الإسلام الصحيح، وأصبحوا لا يندمجون في المجتمع الإسلامي، ويصبحون جزءاً منه، ويشير إلي ذلك محمد إقبال[١] بقوله: إن سحر الإفرنج أو فنه أذاب الصخور وأسالها ماءً[٢].

لكن المسلمين في الهند واجهوا الاستعمار البريطاني لهم فاهتموا بإنشاء المدارس والجامعات مثل جامعة دار العلوم دِيُوبَنْد الإسلامية في الهند[٣].

وجامعة دار العلوم ندوة العلماء[٤]، والجامعة السلفية[٥].

جامعة عليكره[٦]، والجامعة العثمانية في حيدر آباد[٧].

(١) هو شاعر الإسلام الهندي محمد إقبال، ولد سنة ١٨٨٧/ في مدينة سيالكوت في منطقة بنجاب في بيت معروف بالصلاح والتقوى، حصل علي شهادة في الفلسفة وعلم الاقتصاد سنة ١٩٠٥م من جامعة كامبردج، لكن كان يقضي أكثر أوقاته في قرض الشعر، وقصائده تغنى بها الأطفال والشباب وحفظها الرجال والنساء، توفى سنة ١٩٣٨م.

ينظر: شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال لأبي الحسن الندوي، ص ٥: ١٤، طبعة دار الكتاب العربي، القاهرة – ١٩٥١م.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للندوي، ص ١٧٧

(٣) أكبر جامعة إسلامية في الهند أسسها الشيخ محمد قاسم النانوتوي (ت ١٢٩٨م) في سنة ١٢٨٣م، ينظر: منهج أبي الحسن الندوي وجهوده في الدعوة، ص ٣١، رسالة ماجستير للطالب/ عبدالله محمد النيابلي، كلية أصول الدين، جامعة أم القرى، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ١٤٣٢/١٤٣٣هـ

(٤) سيأتي إن شاء الله تعالى لها ذكر.

(٥) أسست جمعية أهل الحديث في الهند مدرسة باسم " الجامعة السلفية في عام ١٣٨٣ في مدينة بنارس، وركزت علي نشر تعاليم الإسلام وإعداد العلماء والدعاة الصالحين، يقول عنها الندوي: وقد نجحت هذه الجامعة السلفية رغم قصر عمرها في أهدافها التي تبنتها إلي حد كبير.

ينظر: المسلمون في الهند للندوي، ص ١٣٣، طبعة دار ابن كثير – دمشق ١٤٢٠هـ.

(٦) أسسها أحمد خان سنة ١٨٧٥م. ينظر: منهج أبي الحسن الندوي وجهوده في الدعوة إلي الله، ص ٣٣

(٧) تمتاز هذه الجامعة بأن الدراسة فيها باللغة الأردية لغة الهند، وقد أدت خدمة عظيمة للمسلمين في الهند. ينظر: منهج أبي الحسن الندوي، ص ٣٤ .

وقد كان لهذه المدارس والجامعات أثر في تصحيح المسار، ودفع الشبهات التي تحاك للإسلام ولغته، ولكن الواضح أن هذه الجهود كانت أضعف من قوة تيار الغرب المسيطر علي زمام الأمن والذي عمل جاهداً علي أضعاف التعليم الديني، وعزل خريجيه عن التأثير في المجتمع أو تقلد المناصب، وفي المقابل شجع التعليم المدني وأعلى شأنه(١).

- **الحالة الدينية:**

دخل الإسلام بلاد السند في سنة ٤٤هـ في خلافة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– وفي عام ١٧٩٩م استطاعت انجلترا عن طريق شركة الهند الشرقية الانجليزية، أن يقضوا علي سلطان المسلمين، ويبسطوا نفوذهم علي معظم أنحاء الهند، ومكنوا الهندوس من البلاد، وقلدوهم الوظائف، وانتهزوا الفرصة وقتلوا المسلمين، وآلت لهم الأراضي حتى لم يبقى للمسلمين غير ٥% مما كانوا يملكون من قبل(٢).

وفي عام ١٩٣٧م عمل الاستعمار البريطاني علي تقسيم شبه القارة الهندية إلي دولتين دولة الهند ذات أغلبية هندوسية، ودولة باكستان ذات أغلبية مسلمة، وعمل الاستعمار علي تأصيل العداء بين المسلمين والهندوس، ولم تمكن المسلمين من تطبيق شرع الله تعالى في باكستان(٣).

(١) ينظر: أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، ص ٧٠.

(٢) ينظر: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٨١، وما بعدها، إسماعيل العربي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٥م، وتاريخ الإسلام في الهند، د/ عبد المنعم النمر، ص ٨٨ وما بعدها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٣) أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية، سيد الغوري، ص ١٠٦، ١٠٧، والهند، تاريخها، وتقاليدها وجغرافيتها، ص ١٩٧، لمحمد مرسي أبو الليل، القاهرة، ١٩٩٥

وتموج الهند اليوم بمختلف الملل والنحل والمذاهب والأديان القديمة التي كانت موجودة قبل الإسلام، مثل الهندوسية[١]،

والبوذية[٢]، والسيخ[٣]، والجينية[٤]، والقاديانية[٥].

بعد الاحتلال الغربي الفاجر للعالم الإسلامي، فسدت المفاهيم، وأصبح الدين مجرد كلمة تقال باللسان بعيداً عن القلب وعن السلوك، وانحصار العبادة في المسجد فقط.

يقول الشيخ الندوي مبيناً الحالة الدينية لعصره: إن العالم الإسلامي حائر اليوم بين دين لا يسهل عليه العمل به والقيام بمطالبه، لعادات نشأ

(١) ويطلق عليها أيضاً البراهمة، ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والتقاليد التي تشكلت عبر قرون طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلي يومنا هذا، متخذة عدة آلهة فلكل عمل إلهه ولكل منطقة إله.

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (١/ ١٣٧) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة: د/ مانع حماد الجهني، نشر دار الندوة العالمية.

(٢) أسسها سدهارتا جوتاما، الملقب ببوذا (٤٨٠ – ٥٦٠) قبل الميلاد، ويعتقد البوذيون أن بوذا ابن الله –تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– وأنه المخلص للبشرية من مآسيها، ويصلون له ويعتقدون بأنه سيدخلهم الجنة، ولما مات قالوا: إنه سيعود ثانية إلي الأرض.....

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/ ١٤٠: ١٤٣)

(٣) هي جماعة دينية تدعوا إلي دين جديد، تزعم أن فيه شيئاً من الإسلام والهندوسية، تحت شعار لا هندوس ولا مسلمين، ظهرت في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي.

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان (١/ ١٤٣)

(٤) وهي ديانة منشقة عن الهندوسية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد علي يد (مهاويرا) وما تزال إلي يومنا هذا، وهي تدعوا إلي التحرر من كل قيود الحياة والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر، وتقوم علي رياضات بدنية عنيفة، وتأملات نفسية عميقة بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتنقيها. ينظر: الموسوعة الميسرة (١/ ١٤٠)

(٥) نشأت علي يد مرزا غلام أحمد القادياني سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الانجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام ويعتقدون أن الله – تعالى عما يقولون علوا كبير – يصلي ويصوم وينام ويصحوا ويكتب ويخطئ.

ينظر: الموسوعة (٢/ ٩٣)

عليها، وتعليم أذابه، وشهوات لا تتفق مع عقيدته ورسالته، وبين جاهلية لا ينشرح لها صدره، لإيمان لا يزال له بقية فيه، وقومية عجنت مع الإسلام، وحضارة تخمرت مع الدين(١).

- **الحالة الاجتماعية:**

عمل الاستعمار الغربي علي تدمير الأخلاق، وضياع الأسرة، وتضليل المرأة بدعوى تحريرها، وإشاعة الاختلاط، واستخدم في سبيل ذلك، وسائل حديثة عظيمة الأثر، سريعة النتائج من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وتجنيد دعاة –عديمي الإيمان– يؤمنون بفكرته ويشيعونها بين الناس.

يقول الشيخ الندوي مبيناً أثار الغزو الاجتماعي ونتائجه: جرب العالم الإسلامي في العهد الأخير ردة اكتسحت العالم الإسلامي من أقصاه إلي أقصاه، وبدت جميع حركات الردة التي سبقتها في العنف، وفي العموم، وفي القوة، لم يخل منها قطر، وقلما خلت منها أسرة من أسر المسلمين، وهي ردة تلت غزو أوروبا للشرق الإسلامي، وهي أعظم ردة ظهرت في العالم الإسلامي في تاريخ الإسلام من عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلي يومنا هذا(٢).

(١) حاجة البشرية إلي معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي للندوي، ص ٥٤، طبعة دار الصحوة، القاهرة ١٤١٢هـ.

(٢) إلي الإسلام من جديد للندوي، ص ١٧٢، طبعة دار القلم، دمشق ١٤٠٨هـ.

ثانياً: ولادته، ونشأته، وتعليمه.

- **ولادته ونشأته:**

هو أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي[١]، ولد بقرية تكية كَلاَن بمدرية رَائي بَرِيْلي، بالولاية الشمالية أُمرابراديش من بلاد الهند في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤م[٢].

نشأ أبو الحسن في أسرة هندية عربية الأرومة، كريمة، ذات فضل وعلم، ترجع أصولها العريقة إلي سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب، فاشتهرت بالأسرة الحسينية، وهي لا تزال تحافظ علي أنسابها وصلتها بأصلها العربي، وإن كانت تعيش في الهند منذ قرون[٣].

(١) الندوي نسبة إلي "ندوة العلماء" الصرح التعليمي الذي تخرج فيه، أسس عام ١٨٩٠م، يقول علي الطنطاوي: لا أعرف أهل معهد أو مدرسة لهم تعلق بمعهدهم أو مدرستهم كتعلق الندويين بندوتهم، ينتسبون إذا انتسبوا إليها لا إلي أبائهم، ويجتمعون عليها أكثر مما يجتمع أفراد الأسرة علي أنسابهم، فكل من دخلها حمل لقب الندوي، فعرف به، لا بلقب أهله.
من تقديم علي الطنطاوي لكتاب في مسيرة الحياة للندوي، ص ١١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠/ ١٩٩٠م.

(٢) في مسيرة الحياة لأبي الحسن الندوي (١/ ٤٥)

(٣) السيد أبو الحسن الندوي، حياته، وإسهاماته العلمية، ص ٥٢، شاكر عالم، مجلة القسم العربي، جامعة البنجاب، لاهور، باكستان، العدد العشرون، ص ٢١٣

وقد ساهمت الشهرة العلمية لهذه الأسرة في تنشئة أبي الحسن تنشئة علمية إيمانية، فوالداه من المشتغلين بالعلم[١]، ففتح عينه علي مكتبة والده، أحب شيئاً إليه في طفولته، وكان عندما يقع في يده شيئاً من نقود مصروفاته الصغيرة ينفقه في شراء الكتب، ويذكر الندوي له قصة طريفة وهو في الخامسة أو السادسة من عمره، وقد اجتمع في يده مبلغاً من المال وأراد شراء كتاب، ولم يكن يعلم أن لكل شيء دكان خاص به، فدخل صيدلية ودفع النقود لصاحب الصيدلية وطلب منه كتاباً، ففطن

(١) والده هو: عبد الحي الحسني، (١٢٨٦هـ – ١٨٦٩م)، (١٣٤١هـ – ١٩٢٣م) مؤرخاً عظيماً، ومؤلفاً كبيراً للتراجم، وقيادي في مجالات العلم، والبحث، والتحقيق، والدعوة، وكان له أشغال أخرى أيضاً من معالجة ومداواة المرضى، فإنه كان طبيباً حاذقاً، ومسئوليات إدارة حركة تعليمية وإصلاحية كبيرة هي ندوة العلماء، فنشأ محباً للقراءة.

يقول أبو الحسن: قرأت مذكرات والدي الذي قيدها وهو في الثانية والعشرين من عمره، وقد أثرت في قلبي تأثيراً جذرياً عميقاً، رغم بساطة ألفاظها وسهولة تعبيرها، وتغلغل في أحشائي حب العلماء الربانيين، وذقت حلاوة ما وجدتها في كتب الأدب والشعر والقصص، وكذلك كتاب والدي في تاريخ العلم والإسلام في الهند "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" في ثمان مجلدات، قرأتها أكثر من مرة، وقد صب المؤلف في هذا الكتاب مواهبه وسجاياه، فجاء قطعة من نفسه ونسخة من روحه.

ينظر: شخصيات وكتب لأبي الحسن الندوي، ص ١٥٧: ١٥٩، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، وأعلام المسلمين ومشاهيرهم، لأبي الحسن الندوي، ص ٢٢٠: ٢٣٢، طبعة دار بن كثير، دمشق، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

وأمه، فهي خير النساء بنت ضياء النبي الحسني، كانت –رحمها الله تعالى– من العالمات والمؤلفات المعدودات، والشاعرات المطبوعات، تحفظ القرآن الكريم وتكتب وتؤلف، وتقول الشعر، وكان من أعظم ما أكرمها الله به حسن الصلاة والغرام بالدعاء والابتهال، والوصول إلي معاني عجيبة فيه، والإيمان القوي بوعود الله تعالى وأخباره، وإيثار الدين علي الدنيا فيما يتصل بأولادها وبمستقبلهم، وحسن التربية، ونشرت لها عدة كتب ومجموعتان من الشعر، من مؤلفاتها: كتاب حسن العشرة وآداب الاجتماع، توفيت إلي رحمة الله تعالى في ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ ٣٠ أغسطس ١٩٦٨م.

ينظر: في مسيرة الحياة (١/ ٤١)

صاحب الصيدلية لطفولة الندوي، فأعطاه كتاب فهرس الأدوية ورد إليه المال[١].

وفي عمر الثامنة أو التاسعة، توفي والده، فتولى رعايته أخوه الكبير عبد العلي الحسني[٢]، فتربى عليه، وعلى والدته العالمة الصالحة التقية.

- **تعليمه:**

بدأ دراسته الابتدائية في البيت ثم أدخل مسجد الحي، ثم عهد به إلي أستاذ متخصص لتعليمه اللغة الفارسية، وفي هذه الفترة طالع مؤلفات والده التي ألفت للصغار، وبعد وفاة والده عهد به أخوه إلي الشيخ خليل اليماني لتعليمه اللغة العربية والآدب العربي، وفي أغسطس عام ١٩٢٧م التحق بجامعة لكهنؤ فرع الأدب العربي في سن الأربعة عشر عاماً وأتقن دراسة الأدب العربي علي يد أستاذه العلامة تقي الدين الهلالي المراكشي[٣]، ونال شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها ثم التحق بدار

(١) في مسيرة الحياة للندوي، ص ٥٦، ٥٧

(٢) هو عبد العلي الحسني، يقول عنه الشيخ الندوي: هو أخي الكبير ومربيً ومثقفي، ولد سنة ١٣١١هـ، وتوفي في سنة ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦١م، نشأ أخي في حضانة والده، وقرأ الأدب العربي، والفقه، والأصول، في جد واجتهاد وفهم، وكان متسماً من صباه بطول الصمت والاشتغال بذات النفس والجد في كل شيء، والبعد عن الهزل وسفاسف الأمور، درس في الجامعة الإسلامية بدار العلوم ديوبند، ثم تعلم الطب ونبغ فيه، وخدم الناس بحرفته الطبية، فكان همه برء المريض وراحته دون الفائدة المادية.

ينظر: شخصيات وكتب للندوي، ص ٦٣، ٦٤

(٣) أحد علماء اللغة العربية في المغرب، ولد بسجلماسة في المغرب، ونشأ نشأة صوفية، ثم تركها واتخذ السلفية معتقداً، سافر إلي الهند وقرأ الحديث علي كبار محدثيها، وعين أستاذاً خلال إقامته في كلية اللغة العربية وآدابها في ندوة العلماء، توفى إلي رحمة الله بالدار البيضاء عام ١٤٠٧هـ.

ينظر: أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية، عبد الماجد الغوري، ص ١٥١: ١٦٣

العلوم (ندوة العلماء) فتم له دراسة الحديث والتفسير علي يد الأعلام المحققين[١].

- **ثالثاً: أساتذته.**

مما لا ريب فيه أن للمعلم دور غير منكور في تشكيل شخصية الطالب، حيث يتأثر بما يبثه فيه أستاذه من الأفكار والمعتقدات، وذلك أن الطالب في بداية عهده بالطلب خالي الذهن صافي الوجدان.

ولقد من الله -تعالى- علي الشيخ الندوي بأساتذة وشيوخ متذوقين للقرآن الكريم، فأشرفوا علي تعلمه وتذوقه لآيات القرآن.

وعاش مع هؤلاء الأساتذة وعرفهم عن قرب لا عن كتب، وعن خبرة وتجربة لا عن سماع وحكاية، وقد كتب عن بعضهم قائلاً: " من باب الشهادة بالحق وأداء الأمانة والوفاء لصاحب الفضل، والحث على الاتباع والانتفاع[٢]، فمن هؤلاء الأساتذة:

١- **خليل اليماني**[٣].

تأثر الشيخ بأستاذه ليس بشكله وهيئته، ولا بكونه من بيئة كذا، أو من قوم كذا، ولا بكونه صاحب نفوذ وسلطان مادي، بل لتذوقه القرآن وشغفه به وقدرته التي حباه الله -تعالى- بها على التأثير في طلابه تأثيراً يملك عليهم شفاف قلوبهم، يقول عنه الشيخ: " لقد كان الشيخ فريداً لا

(١) ينظر: مسيرة الحياة (١/ ٩٣: ١٠٦)

(٢) من مقدمة كتاب " شخصيات وكتب " لأبي الحسن الندوي، ص ١٢

(٣) هو الشيخ خليل بن محمد بن حسين بن محسن الأنصاري اليمني، هندي المولد، يمني الأصل، كان من نوادر المعلمين الذين يطبعون تلاميذهم النجباء بطابعهم الذوقي، له قدم راسخة في اللغة العربية وعلوم البلاغة، تتلمذ على يديه عدد كبير من العلماء، منهم أبو الحسن الندوي، توفي بكراتشي عام ١٣٨٦هـ. ينظر ترجمته في كتاب: من أعلام المسلمين لأبي الحسن الندوي، ص ٢٨١، طبعة دار ابن كثير – دمشق.

يوجد له مثيل في تعليمه للطلاب بذوقه ورأيه، فكان يملك صلاحية غريبة مدهشة في صبغ الطلاب بأفكاره وآرائه، بحيث تتغلغل في أحشائهم، وتمتزج بلحومهم ودمائهم[١]، وكان التوحيد يملك عليه قلبه وعاطفته وشعوره، وكان يحرص على أن يجعل تلاميذه يعتقدون مثله ويحملون عقيدته[٢].

وكان من مواصفات هذا الأستاذ أنه كان يقرأ القرآن بتأثر شديد، وبحب قوي، يقول الندوي: وكان له شغف خاص بآيات قرآنية معينة يقرأها في حماس ولذة ومتعة[٣].

ويقول: ولما بدأت مرحلة دراستي العربية، وحصل لي حظ ضئيل وقدر يسير من الإلمام باللغة العربية أخذت أفهم الآيات القرآنية فهماً قليلاً، وإن أستاذي فضيلة الشيخ خليل يحظى بذوق قرآني طاهر رفيع، وله بكتاب الله شغف زائد عظيم، وقد رزقه الله تعالى من الرقة والخشوع والتأثر حظاً وافراً ونصيباً عظيماً، فلا يتمالك نفسه وهو يتلو القرآن الكريم، فتفيض عيناه دموعاً، ويتأثر صوته بكاءً وخشوعاً[٤].

٢- مُناظر أحسن الكيلاني.

كان الشيخ يعده من أفضل أساتذته وشيوخه، وتأثر به كثير خصوصاً في مجال الدراسات القرآنية[٥].

---

(١) في مسيرة الحياة (١/ ٧١)

(٢) قصة دراستي القرآنية، ص ٩، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣) قصة دراستي القرآنية، ص ٩

(٤) قصة دراستي القرآنية، ص ٩

(٥) المدخل إلى الدراسات القرآنية، ص ١١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

يقول عنه: هو أوسع العلماء الذين عرفتهم في هذا العصر ثقافة، وأغزرهم علماً، يمتاز بالذكاء الباهر ودقة الاستنتاج، وتوليد المعاني، وسيلان القلم، والاطلاع الواسع علي العلوم الدينية، والتاريخ والفلسفة، ولد سنة ١٣٠٩هـ - ١٨٩٣م، ودرس القسم الديني في الجامعة العثمانية بحيدر آباد، ودرس وخطب، وكتب وألف... توفي سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٦م رحمه الله وأثابه[١].

٣- **حيدر حسن خان الطونكي**[٢].

كان الشيخ ملازماً له قريباً منه، يقول:

انخرطت في سلك الطلاب الندويين لدروس الحديث الشريف، التي كان يلقيها شيخ الحديث العلامة حيدر حسن، وقرأت عليه الصحيحين البخاري ومسلم، وسنن أبو داود وجامع الترمذي، حرفاً حرفاً، وقرأت عليه شيئاً من تفسير البيضاوي أيضاً، وأقمت عنده مدة عامين كاملين في غرفته التي هي دار الحديث[٣].

٤- **السيد سليمان الندوي.**

كان من نوابغ العلماء والمؤلفين في الهند، عده من ترجم للندوي من أساتذته وشيوخه في التفسير[٤].

(١) هامش المدخل إلي الدراسات القرآنية، ص ١١١

(٢) من العلماء الربانيين، والمعلمين المربيين، له مشاركة جيدة في الفقه والأصول، والكلام والحديث، وكان منهجه في تدريس الحديث أشبه بمنهج الفقهاء، توفي سنة ١٣٦١هـ، بمدينة لكهنؤ.
ينظر: أبو الحسن الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، سيد عبد الماجد الغوري، ص ١٧٠

(٣) في مسيرة الحياة (١/ ٩٤، ٩٥)

(٤) أبو الحسن الندوي، الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، لسيد عبد الماجد الغوري، ص ١٧٩

يقول عنه تلميذه أبو الحسن الندوي: " كان راسخاً في العلوم العربية وآدابها، عالي الكعب، دقيق النظر في علوم القرآن... واسع الاطلاع، من المكثرين في الكتابة والتأليف مع سعة علم، ودقة بحث، وتنوع مقاصد[١].

٥- **أحمد اللاهوري**[٢].

قرأ عليه الشيخ الندوي التفسير، ولم يروقه منهجه في التفسير.

يقول: وكان يغلب علي منهج تفسيره النزعة السياسية، واتجاه الاستنباط السياسي، إن هذا المنهج التفسيري وإن لم يقع مني موقع كثير ملائمة معه أو ميل إليه، إلا أن دماثة خلق الشيخ الكريم، وتقشفه وزهده في الحياة، وعاطفته العقدية الحارة مما نفعني كثيراً[٣].

- **رابعاً: حياته العلمية، وأهم المناصب التي تولاها.**
- **حياته العلمية:**

تعين مدرساً للتفسير والأدب العربي في دار العلوم (ندوة العلماء) عام ١٩٣٤م، ولم يكن مدرساً نمطياً، بل كان حريصاً علي انتقاء أفضل المنهاج وأدق الأساليب الأنفع للتدريس[٤].

ثم انخرط في سلك جماعة التبليغ والدعوة وبقي مشتغلاً بها خطابة، وكتابة، وخرج في سبيل الدعوة مرات في الخافقين داعياً إلي الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، عاملاً علي إعلاء راية الإسلام بالكلمة

(١) الأضواء علي الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية في الهند للندوي، ص ٤٣، ٤٤

(٢) أحد كبار المفسرين في شبه القارة الهندية، كان يقيم في لاهور، درس التفسير علي المفسر المشهور عبيد الله السندي، الذي كان له مذهب في تفسيره القرآن الكريم، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية، والمذاهب الاقتصادية ويتوسع في الاعتبار والتأويل... لم يعرف تاريخ وفاته. ينظر: قصة دراستي القرآنية لأبي الحسن الندوي، هامش ص ١٧

(٣) قصة دراستي القرآنية، ص ١٧

(٤) مقدمة كتاب المدخل إلي الدراسات القرآنية،ص ٧-٨ .

المسموعة، والمقروءة، ودُعِي محاضراً ومفكراً، وواعظاً هادياً بالرأي والفكر في الجامعات العالمية، والمجامع العلمية، والمؤسسات الإسلامية، والمؤتمرات والندوات في مختلف بلدان العالم(١).

- **أهم المناصب التي تولاها:**

١- نائب لرئيس اللجنة العليا للتعليم في دار العلوم (ندوة العلماء) ثم رئيساً ثم أميناً عاماً لها.

٢- رئيس مجلس الأمناء لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد ببريطانيا.

٣- رئيس المجمع الإسلامي في لكهنؤ بالهند.

٤- رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض.

٥- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

٦- عضو بمجامع اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن(٢).

- **أهم جوائز التكريم والشهادات التي نالها:**

١- جائزة الملك فيصل العالمية ١٩٨٠م(٣).

٢- شهادة الدكتوراه الفخرية في الأدب جامعة كشمير.

٣- جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٩٩٨م من حكومة دبي.

---

(١) جمع سيد الغوري رحلات الندوي الدعوية، في كتاب سماه: رحلات العلامة أبي الحسن الندوي، مشاهداته، محاضراته، لقاءاته، انطباعاته، وطبعته دار ابن كثير بدمشق، وبيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٢) مقدمة كتاب: نظرات في الأدب النبوي لأبي الحسن الندوي، تحقيق سيد عبد الماجد الغوري، ص ١١، طبعة دار البشائر الإسلامية، بدون تاريخ.

وأبو الحسن الندوي، حياته، وفكره التربوي، عبد المنعم عثمان الشيخ، ص ١٠٦، ١٠٧، نشر: هيئة الأعمال الفكرية ٢٠١٠، الخرطوم، السودان.

(٣) ينظر: في مسيرة الحياة (١/ ٣٩٦، ٣٩٧)

٤- جائزة السلطان حسن البلقيه -سلطان بروناي- للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٩م[١].

- **خامساً: مؤلفاته، وثناء العلماء عليه.**

- **مؤلفاته:**

للإمام الندوي مؤلفات كثيرة متنوعة، ورسائل ممتعة في التفسير والحديث والسيرة، والدعوة والأدب والتراجم، من أشهرها باللغة العربية:

١- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين[٢].

٢- رجال الفكر والدعوة في الإسلام[٣].

٣- الأركان الأربعة في ضوء القرآن والسنة[٤].

---

(١) السيد أبو الحسن الندوي، حياته وإسهاماته العلمية، ص ٦٣، بحث منشور في جامعة بنجاب ببكاستان ، العدد العشرون، ٢٠١٣م.

(٢) هو أشهر مؤلفاته، وأوسعها انتشاراً، طبع أكثر من عشرين طبعة، طبعة دار القلم بالكويت، الطبعة الثالثة عشر سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)

يقول الدكتور محمد يوسف موسى، في تقديمه للكتاب، الطبعة الثانية: أشهد لقد قرأت الكتاب حين ظهرت الطبعة الأولى، في أقل من يوم، وأغرمت به إغراماً شديداً، حتى لقد كتبت في أخر نسختي وقد فرغت منه: إن قراءة هذا الكتاب فرض علي كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام.

(٣) يقع الكتاب في أربع مجلدات، وقد طبعته دار ابن كثير بدمشق، الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. تحدث في الجزء الأول عن عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وأحمد بن حنبل، وأبو الحسن الأشعري، والإمام العزالي، وعبد القادر الجيلاني، وجلال الدين الرومي، وفي الثاني تحدث عن ابن تيمية، وابن القيم، والحافظ ابن عبد الهادي المقدسي، وابن كثير، وابن رجب الحنبلي، والثالث الإمام الرهندي، والرابع الإمام الدهلوي.

(٤) نشرته دار الكتب الإسلامية سنة ١٣٨٧هـ، تحدث فيه عما ورد في القرآن والسنة من الأركان الأربعة (الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج) عن روحها وحقيقتها ومقاصدها وآدابها، وكشف بعض جوانب هذه الأركان وصلتها بالحياة بعيداً عن التفكير المادي الذي يطغى علي روح العبادة والإخلاص.

٤- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية[١].

٥- السيرة النبوية[٢].

٦- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن[٣].

٧- إذا هبت ريح الإيمان[٤].

٨- العقيدة والعبادة والسلوك[٥].

٩- المدخل إلي الدراسات القرآنية[٦].

(١) طبعته دار الندوة للتوزيع في لبنان، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، وهذا الكتاب يقع في ٢٢٢ صفحة، ويتعرض فيه المؤلف لأحداث ومشاكل العالم الإسلامي الراهنة، ويحلل الوقائع تحليلاً علمياً يتسم بالصدق والصراحة.

(٢) طبعته دار ابن كثير، دمشق سنة ١٤٢٥هـ، كتبه الإمام بأسلوب علمي عصري، وليس بأسلوب الحشد للمعلومات بدون نقد وتمحيص.

(٣) طبعته دار القلم، دمشق الطبعة السابعة (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) تكلم فيه عن النبوة وخصائصها وشخصية الأنبياء والمرسلين، والفرق بينهم وبين المصلحين، وأسلوب الأنبياء والرسل في دعوتهم إلي الله تعالى.

(٤) طبعته مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار القلم، الكويت، الطبعة العاشرة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) يقول الندوي في تقديمه لهذا الكتاب: مقتطفات من تاريخ الدعوة والجهاد في الهند في القرن الثالث عشر الهجري، وأضواء علي حياة قائد هذه الدعوة والحركة السيد أحمد بن عرفان، وسيرة أصحابه ورفاقه، وأخلاقهم، في أمانة تاريخه وأسلوب قصصي....

(٥) طبعته دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية(١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م) وعنوانه التفصيلي هكذا العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة، والسيرة النبوية، كتاب يصلح لأن يكون دليلاً إلي الاعتقاد السليم المطلوب، والسلوك الإسلامي الجامع، ودستوراً لحياة المسلم الطالب للحق، الباحث عن الأسوة النبوية في الأعمال والأخلاق.

(٦) هذا الكتاب عبارة عن عدد من المحاضرات، ألقاها علي طلاب دار العلوم ندوة العلماء حين عين مدرساً للأدب العربي والتفسير في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي، وعنوانه التفصيلي: المدخل إلي الدراسات القرآنية مبادئ تدبر القرآن، والانتفاع به، أضواء علي وجوه الإعجاز والعلوم القرآنية، وقد طبعته مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

١٠- الصراع بين الإيمان والمادية (تأملات في سورة الكهف)[١] .

١١- المسلمون في الهند[٢].

١٢- نفحات الإيمان[٣].

١٣- مذكرات سائح في الشرق العربي[٤].

١٤- ربانية لا رهبانية[٥].

١٥- نظرات في الأدب النبوي[٦].

(١) عبارة عن مقالات بعنوان: " تأملات في سورة الكهف" نشرت في مجلة " المسلمون "تباعاً عام ١٣٧٧- ١٣٧٨هـ، فيها دراسة للسورة علي أساس الاقتناع بأن بينها وبين فتن هذا العصر، والقدرة علي مقاومتها صلة قوية عميقة، ثم لما رأى المؤلف قصة الصراع بين الإيمان والمادية تمثل علي مسرح العالم بصفة عامة وعلي مسرح الشرق بصفة خاصة عزم المؤلف علي نشر هذه المقالات مع إضافة جوانب جديدة في التدبر في معاني هذه السورة بعنوان: الصراع بين الأديان والمادية "تأملات في سورة الكهف" وقد طبعته دار القلم، الكويت الطبعة الرابعة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م)

(٢) طبعته دار ابن كثير، دمشق (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) ألف الندوي هذا الكتاب لما زار المشرق العربي ووجد العرب لا يعرفون شيئاً عن الهند ولا عن مسلمي الهند فعزم علي تدوين هذا الكتاب مستعرضاً فيه المسلمون الهنود قديماً وحديثاً ونواحي الحياه العلمية، والاجتماعية، والدينية.

(٣) عبارة عن محاضرات ألقيت في صنعاء وعمان في مناسبات مختلفة واحتفالات كبيرة، وطبعها المجمع الإسلامي " ندوة العلماء" لكهنؤ بالهند (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) تحت عنوان نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان.

(٤) سجل فيه ما شاهده في رحلته إلي عواصم الشرق العربي في مفتتح سنة ١٩٥١م، وقد التزم أن يسجل كل حديث وكل انطباع في يومه غالباً، متحرياً الدقة في النقل وصحة الرواية، يقول الندوي في مقدمته لهذا الكتاب: ويتمثل القارئ لهذا الكتاب بعد أن مضى عليه زمن شخصية المتحدث – يقصد نفسه– وسماته الحقيقية، ينظر: ص ٧، وقد طبعته مؤسسة الرسالة ببيروت– الطبعة الثالثة (١٣٩٨ – ١٩٧٨)

(٥) نشرته دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م)

(٦) طبع معه دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية، باعتناء سيد عبد الماجد الغوري، طبعة دار البشائر الاسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٦- أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين[١].

١٧- شخصيات وكتب[٢].

١٨- في مسيرة الحياة[٣].

- **ثناء العلماء عليه:**

يتبين مكانة العالم ومنزلته من حكم العلماء وأصحاب الفضل عليه، وأبو الحسن الندوي أشاد به أهل العلم من معاصريه، المعروفون بالعدالة وحصافة الرأي، واعترفوا له بالإمامة، والتفوق العلمي، والزهد والورع، مع حسن خلق.

- **يقول محمد الرابع الحسني الندوي[٤]:**

شخصية أبي الحسن الندوي شخصية إسلامية جامعة، اجتمعت فيها خلال متعددة قلما تجتمع في شخصية واحدة، فهو مدرس وعالم ومحقق، وأديب داعية وقائد حكيم... كان مع كل هذه الجوانب التابعة من

(١) عبارة عن أحاديث أخوية صريحة، ونقد مخلص هادف لواقع العرب والمسلمين، وتذكير لهم بمركز الدعوة القيادي، وواجبهم نحو أنفسهم والعالم المعاصر، وقد طبع الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٢) ذكر فيه الشيخ الندوي بعض الكتب التي عاش فيها وكان لها دور خاص في تكوين ذوقه وعقليته، وأسلوب تفكيره، وشخصيته العلمية، وكذلك بعض الشخصيات التي تأثر بها تأثيراً مباشراً إما عن طريق المعاشرة والصحبة وإما عن طريق الدراسة وتتبع الأخبار، وقد طبعت دار القلم بدمشق هذا الكتاب الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(٣) يقول الشيخ علي الطنطاوي عند تقديمه لهذا الكتاب: " في مسيرة الحياة " كتاب قيم لداعية من أكابر الدعاة إلي الله تعالى في هذا العصر، وصديق من أقرب الأصدقاء، ومؤلف مكثر له كتب يعرفها الناس، ولكن لهذا الكتاب فضلاً عليها؛ لأنه يسرد سيرة المؤلف الأستاذ أبي الحسن الندوي، وقد طبعته دار القلم طبعته الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

(٤) هو محمد الرابع بن رشيد أحمد الحسني الندوي، ابن أخت الندوي، ولد في عام ١٣٤٩هـ، تخصص في الأدب العربي وبرع فيه، واهتم بتاريخ البلاد العربية، وعلم الاجتماع التربوي اهتماماً كبيراً، رافق خاله الندوي في معظم أسفاره ورحلاته، له مؤلفات قيمة منها: " الأمة الإسلامية ومنجزاتها "، و " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة "

ينظر: أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية، سيد عبد الماجد الغوري، ص ٩٠١، ٩٠٢

شخصيته شخصية ربانية كذلك، يعتني بتربية نفسه الباطنية، ويقوم بتربية من يتتلمذ عليه[١].

- **يقول الدكتور عبد الحليم محمود[٢]:**

أخلص – أبو الحسن الندوي – وجهه لله، وسار في حياته مسيرة المخلص لله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– فدعا إلي الإسلام بالقدوة الحسنة، ودعا إلي الإسلام بكتبه النقية، ودعا إلي الإسلام بسياحته التي حاضر فيها، ووجه وأرشد، فجزاه الله خير ما يجزي عالماً عن دينه[٣].

(١) من تقديم محمد الرابع الحسني الندوي، لكتاب: أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، لسيد عبد الماجد الغوري، ص ٣٥، ٣٦

(٢) ولد في قرية السلام بمحافظة الشرقية سنة ١٣٢٨هـ – ١٩١٠م، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم تدرج في التعليم حتى نال العالمية سنة ١٩٣٢م، ثم حصل علي الدكتوراه من جامعة السربوب بفرنسا سنة ١٩٤٠م، ثم عمل أستاذاً للفلسفة بكلية أصول الدين، ثم عميداً للكلية، ثم أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية، ثم وكيلاً للأزهر سنة ١٩٧٣م، ثم شيخاً للأزهر سنة ١٩٧٣م، له مؤلفات كثيرة، منها: التفكير الفلسفي في الإسلام، ومنهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع، توفي في أكتوبر عام ١٩٧٨م.
ينظر: الأزهر في ألف عام، د/ محمد عبد المنعم خفاجي، د/ علي صبحي (٣/ ١٩: ٣٤) المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

(٣) في كلمة ألقاها بمناسبة المهرجان التعليمي لدار العلوم (ندوة العلماء) عام ١٩٧٥م. ينظر: أبو الحسن الندوي المفكر الداعية، ص ١٠ .

- **يقول محمد المجذوب[١]:**

ومتتبع كتب الشيخ الندوي يشعر بأن لعباراته الأدبية سحراً لا يتوافر في العادة إلا لأصحاب المواهب الذين تعمقوا سر الكلمة، وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر فيما يصوغونه، وتلك هي الخاصة الرئيسية التي يمتاز بها أولوا الأذواق الروحية من المتخرجين في مدرسة القرآن[٢].

- **يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة[٣]:**

فكنتم وما زلتم بحمد الله النموذج الرفيع للتذكير بأولئك الأسلاف الذين آتاهم الله حبه في قلوبكم، وحب الناس لهم بما أحبوا الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم– ولا غرابة منكم أن تكونوا كذلك، فالدوحة الشريفة ما تزال ناضرة الأغصان، زاهية الألوان، معطاءة في كل زمان ومكان[٤].

---

(١) هو داعية وأديب سوري، ولد سنة ١٩٠٧م، تلقى دراسته الأولية في الكتاب، ثم في مدارس الدولة العثمانية، ثم علي الشيوخ، وفي عام ١٩٣٦م بدأ في سلك التعليم في سوريه، ثم هاجر إلي المدينة المنورة سنة ١٣٨٣هـ، حيث عمل مدرساً بالجامعة الإسلامية إلي عام ١٤٠٣هـ، له مؤلفات بلغت قرابة الخمسين مؤلفاً، مثل: فضائح المبشرين، والمرشد في الأدب العربي، مشكلات الجيل في جنود الإسلام، توفي ١٩٩٩م. ينظر ترجمته لنفسه في كتاب: علماء ومفكرون عرفتهم، (٣/ ٣٤٥: ٣٥٧) دار الشواف، الرياض، الطبعة الرابعة ١٩٩٢م.

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، (١/ ١٤٣)

(٣) هو المحدث الأصولي، الفقيه اللغوي، عبد الفتاح أبو غدة الشامي الحلبي، حصل علي الشهادة العالمية من الأزهر، واشتغل بالتدريس في كلية الشريعة، والآداب بجامعة دمشق، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وكان له جولات في الهند ومكتباتها، وجامعتها ومعرفة رجالها، له مؤلفات نفيسة، وتحقيقات قيمة في الحديث وعلومه، لا يستغنى عنها طالب الحديث النبوي الشريف، توفي –رحمه الله– بالرياض عام ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

ينظر: رسائل الأعلام إلي العلامة الندوي، تحقيق سيد عبد الماجد الغوري، هامش، ص ٨٨، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٤) رسائل الأعلام، ص ٨٩، ٩٠

- **ويقول الشيخ علي الطنطاوي[١]:**

كدت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أعد أجد أحداً عند أدباء هذه النغمة العلوية، التي غنى بها الشعراء من لدن الشريف الرضى إلي البرعي، فلما قرأت كتابك وجدتها، في نثر هو الشعر إلا أنه بغير نظام، فيا أبا الحسن لك الشكر علي أن رددت إليَّ ثقتي بنفسي وثقتي بأدب لغتي[٢].

- **سادساً: وفاته.**

لقي ربه في يوم الجمعة (٣١ من ديسمبر ١٩٩٩م) وهو يقرأ قوله تعالى: (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)[٣] ، وقد عاش خمساً وثمانين عاماً، وقد أثرت وفاته في العالم العربي والإسلامي، فأعلن الحكام، والأمراء، والأدباء، والعلماء، والقادة، والزعماء، عن حزنهم.

وعقدت حفلات التأبين في أرجاء العالم الإسلامي في الأوساط الدينية والدعوية، والأدبية، والعلمية[٤].

---

(١) هو أديب الفقهاء، وفقيه الأدباء من كبار الكتاب، تجمع كتاباته بين الرشاقة والجزالة، ومحاسن القديم والجديد، في قوة ودقة، وعربية ناصعة وبيان واضح، درس علي كبار علماء دمشق في عصره، وحصل على شهادة الحقوق من الجامعة السورية، وأصبح مستشاراً في محكمة التميز بدمشق، ولم ينقطع عن الكتابة، وانتقل إلي الحجاز بعد الطوارئ في سورية، وله فيها برنامجين: مسائل ومشاكل في الإذاعة، ونور وهداية في التليفزيون، توفي إلي –رحمة الله تعالى– بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

ينظر: رسائل الأعلام، ص ١٤٧

(٢) من تقدمة علي الطنطاوي لكتاب الطريق إلي المدينة لأبي الحسن الندوي، ص ٩، الطبعة الرابعة ١٩٨٠م، دار القلم، دمشق، وينظر: مقدمات الشيخ علي الطنطاوي، جمع مجد مكي، ص ٨٣، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٣) سورة يس الآية: ٢٦–٢٧ .

(٤) أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية، ص ٣٣٥

منهجه في بعض مسائل علوم القرآن

- **تعريف علوم القرآن:**

عرف العلماء علم "علوم القرآن"عن طريق معرفة بعض موضوعاته، وليس عن طريق الحد المنطقي في التعريف، وهو كونه جامعاً مانعاً، فقالوا بأنه:

مباحث تتعلق بالقرآن من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك(١).

وقد روى البغوي (ت ٥١٠هـ) في تفسيره لقوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)(٢)، عن ابن عباس وقتادة، قال: علم القرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأفعاله(٣).

وقد يسمى هذا المصطلح: علم القرآن، وعلوم التنزيل، وعلم الكتاب، وعلوم الكتاب، ولكن اشتهر منها علوم القرآن(٤).

وقد يسمي بعض العلماء تفاسيرهم بهذا المصطلح، دون احتوائها علي ترتيبات علوم القرآن، بل هي كتب تفسير، تفسير القرآن آية آية،

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (١/ ٢٠) دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩

(٣) تفسير البغوي " معالم التنزيل " (١/ ٣٣٤)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٤) علوم القرآن، تاريخه، وتصنيف أنواعه، مساعد الطيار، ص ٨٠، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد (١) ١٤٢٧هـ.

مثل كتاب: " الجامع لعلم القرآن"[١]، وكتاب " التسهيل لعلوم التنزيل "[٢]، وكتاب " اللباب في علوم الكتاب"[٣].

وهناك من ألف حسب ترتيبات مصطلح علوم القرآن، دون أن يضمن عنوان الكتاب هذا المصطلح، مثل كتاب " فهم القرآن " للحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)[٤] ، فقد ذكر فيه مجموعة من مسائل علوم القرآن، مثل المحكم والمتشابه، والنسخ، وغير ذلك... وهو بهذا يعتبر أقدم من ألف في علوم القرآن كعلم مستقل، وإن لم يطلق عليه مصطلح علوم القرآن، بل هو من ألصق الكتب المتقدمة بهذا المعنى الاصطلاحي، وأحراها أن تكون سابقة في هذا الميدان حتى الآن[٥]، وهناك كتب جامعة لمسائل علوم القرآن جعلت عناوينها مصطلح علوم القرآن، ظهرت متأخرة مثل البرهان للزركشي (ت ٧٩٤هـ) والإتقان للسيوطي...

وليس هناك اتفاق بين العلماء علي تحديد موضوعات علوم القرآن، ويبدوا أن الأمر مبني علي الاجتهاد في الترتيب والتقسيم، حتى بالغ بعضهم في تكثير الموضوعات بدون سند عليه ولا حاجة تدعو إليه، يقول

(١) لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ) فهو كتاب تفسير، يفسر القرآن آية آية، ومرجع من مراجع المعتزلة.

(٢) لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ) وهو من كتب التفسير بالرأي المتوسطة الحجم.

(٣) وهو لابن عادل، عمر بن علي، وهو من كتب التفسير الموسوعية، طبع في عشرين مجلداً.

(٤) هو الحارث بن أسد الغنزي المحاسبي البصري، ولد في الفترة ١٦٥ – ١٧٠هـ في البصرة، له باع طويل في العلم، من مؤلفاته: أعمال القلوب، ورسالة في التوحيد، توفي سنة ٢٤٣هـ.
ينظر ترجمته في: كتاب فهم القرآن، ص ٨: ٢٥، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث خالد رمضان عثمان، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية بماليزيا، نشرت بالجامعة سنة ٢٠١٤م.

(٥) ينظر: مدخل إلي علوم القرآن والتفسير، د/ فاروق حمادة، ص ١٠، ١١، مكتبة المعارف، الرياض. وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة، حازم سعيد حيدر، ص ٦٥، دار الزمان، المدينة المنورة ١٤٢٠هـ.

ابن العربي[١]: " وقد ركب العلماء علي هذا كلاماً، فقالوا إن علوم القرآن خمسون علماً، وأربعمائة علم، وسبعة آلاف، وسبعون ألف علم، علي عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة منها ظهر وبطن، وحد ومطلع، هذا مطلق دون اعتبار تركيبه، ونضد بعضه إلي بعض، وما بينهما من روابط علي الاستيفاء في ذلك كله، وهذا مما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله"[٢]

وفي هذا البحث ذكر لبعض موضوعات علوم القرآن عند أبي الحسن الندوي، منها موضوعات متعلقة بالقرآن الكريم تعلقاً مباشراً، ولا تنبثق إلا منه وهي مبهمات القرآن، وأقسام القرآن، والتفسير، وأسباب النزول ومنها موضوعاً واحداً يتعلق بنظم القرآن وعربيته وهو علم المناسبة.

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي، الحافظ، أحد الأعلام، ولد في شعبان سنة ثمانية وستين وأربعمائة، رحل إلي المشرق، ودخل الشام، والعراق، ومصر، فسمع من علماء هذه البلاد، ثم عاد إلي بلده، وكان من أهل التفنن في العلوم، بلغ مرتبة الاجتهاد، توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للأندنهوري، ص ١٨١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) قانون التأويل لابن العربي، ص ٥٤٠، تحقيق محمد السليماني، دار القبلة للثقافة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الأولي ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

المبحث الأول : سبب النزول

تعريف سبب النزول.

سبب النزول من المسائل المهمة في علوم القرآن، وقد اعتنى به العلماء في القديم والحديث، وأُلفت كتب كثيرة فيه، مثل ما ألفه الواحدي[١] في كتابه أسباب النزول[٢]، والسيوطي في كتابه " لباب النقول في أسباب النزول "[٣].

وقد عرف العلماء أسباب النزول بأنه: ما نزل القرآن بشأنه ووقت وقوعه كحادثة أو سؤال[٤].

ولهذا العلم فوائد عظيمة، يقول ابن دقيق العيد[٥]: بيان سبب النزول طريق قوي لفهم معاني القرآن[٦].

ويقول الواحدي: أسباب النزول هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها[٧].

---

(١) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي النيسابوري، مات بنيسابور سنة ٤٦٨هـ، كان له باع طويل في العربية واللغات. انظر : الأعلام ٢٥٥/٤

(٢) مطبوع بعنوان: (أسباب نزول القرآن) بدار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م، بتحقيق كمال بسيوني زغلول.

(٣) طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى، يقول السيوطي: وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع، وسميته " لباب النقول في أسباب النزول". ينظر: الإتقان (١/ ٨٤)

(٤) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (١/ ٧٦)

(٥) هو محمد بن علي بن وهب، أبو الفتح تقي الدين، المعروف بابن دقيق العيد، قاضي من أكابر العلماء بالأصول، من مصنفاته: إحكام الأحكام، توفي سنة ٧٠١هـ، ينظر: شذرات الذهب. ٤/٦ دار الكتب العلمية .

(٦) الإتقان (١/ ٨٥)

(٧) أسباب النزول للواحدي، ص ١٠

ويقول ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب(١).

- **موقف الندوي من سبب النزول:**

الندوي – رحمه الله تعالى – لا يعول كثيراً علي أسباب النزول، فيرى أن السبب الأساسي لنزول القرآن، التهذيب والإصلاح؛ فهو يركز علي هدايات الآية، وإسقاطها علي الواقع المعاصر وما يدور في هذا الواقع من ملابسات، لكنه في نفس الوقت لم يرفض أسباب النزول مطلقاً، ويمكن اختصار موقف الندوي في هذه المسألة بأمرين، هما:

أ– السبب الأساسي لنزول القرآن الإصلاح والتعليم.

ب– سبب النزول يأتي لبيان مقتضى الحال.

– أولاً: السبب الأساسي لنزول القرآن الإصلاح والتعليم.

١ – يقول في تأملاته لسورة الكهف، عند الحديث عن أهل الكهف:

تمسك المفسرون في سبب ورود هذه القصة الغريبة في القرآن بما روي عن بعث قريش وفداً منهم إلي أحبار يهود المدينة، وسؤاله إياهم عن أسئلة يختبرون بها صدق نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – فاختاروا لهم أسئلة فيها سؤال عن أصحاب الكهف(٢).

(١) ينظر: مقدمة أصول التفسير لابن تيمية، ص ٤٧، تحقيق د/ عدنان زرزور، جامعة دمشق، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

(٢) روي عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط إلي أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فلما أتيا المدينة وسألا اليهود، فقالوا لهما: سلوه عن ثلاثة فإن أخبركم بهن فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، وسلوه عن رجل طواف بلغ المشارق والمغارب ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح، ما هو؟ فلما رجعا إلي قريش، وسألوا النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فقال: " أخبركم غداً بما سألتم " ولم يستثن، ولم ينزل الوحي مدة خمس عشرة ليلة، وشق ذلك علي النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم أنزل الله تعالى سورة الكهف وخبر ما سألوه عن أمر الفتية، والرجل الطواف. ينظر: لباب النقول للسيوطي، ص ١٦٨

هذه الرواية إن صحت، فليست هي السبب الرئيسي، والسبب الوحيد لاختيار القرآن لهذه القصة، من بين قصص الاضطهاد الكثيرة.... وأن قصص أسباب النزول، وإن أفاض فيها المفسرون، وعني بها العلماء المتقدمون العناية الكبيرة، لا تحتل المكانة التي أحلها فيها كثير من العلماء، وقد كان من مقاصد الإصلاح والتعليم التي جاء لتحقيقها القرآن، وفي البيئة الفاسدة الموبوءة التي بعث فيها الرسول – صلى الله عليه وسلم – نزل فيها القرآن، وفي طبيعة البشرية التي تختلف اختلافاً كثيراً.... والحوادث التي تتعاقب وتتكرر، وفي الأجيال البشرية التي سيخاطبها القرآن، وتقودها النبوة المحمدية على اختلاف الأعصار والأمصار، كان في كل ذلك دواع أقوى وأحق بالاستجابة، وأسباب أظهر وأجدر بالاهتمام من سؤال طائفة، أو امتحان جماعة، ومن قصة يرويها بعض الرواة في سبب نزول آية أو سورة ويعجبني ما قاله ولي الله الدهلوي في كتابه الفوز الكبير[1]: وعامة المفسرين يربطون كل آية من آيات المخاصمة، وآيات الأحكام بقصة، ويعتقدون أن تلك القصة هي سبب نزولها، والمحقق أن الغاية الأساسية من نزول القرآن هي تهذيب النفوس البشرية، والقضاء علي العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة، فوجود العقائد الباطلة سبب مستقل لنزول آيات المخاصمة، ووجود الأعمال الفاسدة وانتشار المظالم فيما بينهم سبب كافٍ لنزول آيات الأحكام....

أما القصص الجزئية والحكايات المعينة التي أتعب المفسرون نفوسهم في نقلها وأطالوا النفس في ذكرها، فليس لها دخل كبير، ولا أهمية ذات بال، إلا في بعض الآيات حيث وقع التعريض فيها لحادثة من الحوادث وجدت في زمنه – صلى الله عليه وسلم – أو قبل ذلك، ولا يزول

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير، لولي الله الدهلوي، ص ١٨، ١٩، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

ما يعرض للسامع من التشوق عند سماع ذلك التعريض إلا ببسط هذه القصة[١].

فالشيخ يرى أن قصة السؤال ليس من الضروري أن تكون هي سبب نزول الآية، لكن لعل الأولى والأجدر – والله أعلم – اعتبار قصة السؤال سبباً مباشراً للنزول، فقريش أرادوا اختبار النبي – صلى الله عليه وسلم – وإحراجه، وإظهاره أمام الناس بعدم قدرته على الدفاع عن دعوته، ثم إنهم جعلوا الإجابة عن الأسئلة دليل علي نبوته، فأنزل الله –تعالى– الآية لتكون دليل صدق النبوة في هذا الموقف، وهذا لا يمنع أن تكون الآيات نزلت لمعالجة العقائد والأعمال الباطلة، فإن الحكم لا يكون مقتصراً علي الواقعة التي نزلت فيها الآية فحسب، وإنما يكون حكماً عاماً في كل ما شابهها من وقائع ونوازل، وأن أحكام القرآن، من حيث الأصل هي أحكام عامة لكل زمان ومكان، وليست أحكاماً خاصة بأزمنة معينة[٢].

٢- **يقول عند قوله تعالى:** (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[٣] ،.... فيمكن أن يدعي الرجل الإسلام، ويعترف بعبديته، ثم يعادي ربه في بعض أموره، ويخالفه في بعض أحكامه، فمثلاً يقيم عبد من عباد الله علاقة العبودية مع الله، لكن بشيء من التحفظ، ويشرك رضاه وهواه في هذه العلاقة، يشهد أن الله –تعالى– حق، وأن الحساب حق، والحشر حق، لكنه يعيش باستقلال وحرية في الحياة الاجتماعية والأسرية، وفي الثقافة والمبادئ العامة، وفي العلاقات مع الأقارب والأصدقاء،

(١) تأملات في سورة الكهف للندوي، ص ٤١: ٤٣

(٢) مباحث في علوم القرآن' مناع القطان، ص ٨٢، ٨٤

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٨

والمعاملات التجارية، فلا يقبل الله –تعالى– هذه العلاقة المتحفظة المشروطة، فكأن هذه الآية نزلت لإيضاح تلك النكتة، وفيها عبرة وجرس إنذار لأصحاب مثل هذه العلاقة بالله –تعالى–، إن الله تعالى يقول: (ادخلوا في السلم كافة) فإن المشاطرة في هذا المحال غير مقبولة[١].

– ثانياً: سبب النزول بيان لمقتضى الحال.

يذكر أحياناً أسباب النزول لتوضيح الحال والمناسبة التي نزلت فيها الآية، فمعرفة السبب هو معرفة مقتضى الحال[٢] فالإعلام بالحال، كاشف لمعاني القرآن، مبين لدقائق أسرار بلاغته.

يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)[٣]، أريد أن أستعرض الواقع الغريب، الواقع المثير المرير، الذي نزلت فيه هذه الآية....

ثم بين أن الآية نزلت في شأن مجموعة صغيرة من البشر، صغيرة جداً بالنسبة لسكان العالم، تؤمن بالله تعالى، وبالحقائق التي جاء بها القرآن، لكنها مستضعفة في الأرض تعيش بين قوتين عظيمتين، الإمبراطورية البيزنطية في الشمال، والإمبراطورية الفارسية في الشرق، بيد أن الله –تعالى– أعلى قيمة هذه المجموعة وأيدها بقوته (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[٤]، إذا كان هذا هو حال هذه

(١) دراسات قرآنية، لأبي الحسن الندوي، جمع سيد عبد الماجد الغوري، ص ١١١: ١١٣

(٢) الموافقات للشاطبي (٣/ ١٤٦) دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٣

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٦

المجموعة الصغيرة التي لا ترى إلا بالمجهر، كيف يقول الله تعالى لها (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) إذا قصرتم في هذا التأخي، وقصرتم في تكوين المجتمع الإسلامي والحياة الإسلامية الصحيحة، وقصرتم في أداء الواجب الإنساني الذي يرتبط به مصير الإنسانية ارتباط الحياة بالشمس، ارتباط الحياة بالهواء والماء (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)...

الله -تعالى- يقول لهذه المجموعة الصغيرة في هذه البيئة الضيقة، المتأخرة المخنوقة، التي لم يكن لها شأن في العالم، ولم تكن الأمم تحسب لها حساباً، وقد صرح بذلك ملوك فارس وأباطرة الروم لرسل المسلمين وقوادهم، فقالوا: والله ما كنا نكترث بكم ولا نرفع بكم رأساً، فما تريدون منا؟ إن كنتم تريدون الكسوة نكسوكم، وإن كنتم تريدون التموين نمونكم[1]، ولكن الله -تعالى- يقول لهؤلاء العرب (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)

(١) انظر موقف خالد بن الوليد -رضي الله عنه- حين قال له قائد الروم " ماهان " إنا قد علمنا إن الذي أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع، فهلموا إلي أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلي بلادكم، فإذا كان العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد: لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أن لا دم أطيب من دم الروم فجئنا لذلك.
ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٧/ ١٠) مكتبة المعارف، بيروت.
وربعي بن عامر حين دخل على رستم قائد الفرس، في معركة القادسية، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهروا اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة وعليه تاجه، وقد جلس علي سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، فقالوا له: ضع سلاحك، قال: إني لم آتيكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: أئذنوا له، فأقبل يتوكأ علي رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ قال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلي عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلي سعتها.... البداية والنهاية (٧/ ٣٧)

.... إنها إن كانت مجموعة صغيرة في القامة لكنها كبيرة في القيمة، ... فالنور لا ينظر إلي وزنه، إنما ينظر إلي رسالته التي نيطت به، وأسندت إليه، تتناولون " المفتاح الكهربائي" فينطلق التيار فينير هذه القاعة الكبيرة، بل الجامعة كلها، كذلك الشحنة الإيمانية التي أودعت في هؤلاء المسلمين كانت كفيلة بإنارة العالم....

إن الوضع الديني، والخلقي والاجتماعي، والسياسي المرزى الذي يعيشه العالم اليوم، بل الانهيار الإنساني، والاحتضار المعنوي الذي يعانيه مجتمعنا المعاصر كله تفسير لقوله تعالى: (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) لم نؤد واجبنا، ولم نقم بدورنا في تكويننا، وفي تكوين المجتمع الإسلامي المؤمن القوي النقي، فكانت فتنة في الأرض وفساد كبير، وفاقد الشيء لا يعطيه[1].

فكأن الشيخ –رحمه الله تعالى– استشف من مناسبة الحال التي نزلت فيها الآية دلالة من دلائل الإعجاز، إذ لا يمكن للعقل البشري أن يتصور أن فئة قليلة جداً، ضعيفة جداً يمكن أن يرتبط بها مسيرة الإنسانية، فالمعهود أن الذي يؤثر في هذه الحياة أصحاب القوة والعدد، لكن الله –تعالى– أراد لهذه المجموعة الصغيرة أن تكون هي المؤثرة بإيمانها علي المسيرة الإنسانية، وعلى الاتجاه العالمي، وعلى القيم والمثل.

(١) دراسات قرآنية، لأبي الحسن الندوي، جمع سيد عبد الماجد الغوري، ص ١٠٤: ١٠٩

المبحث الثاني: علم المناسبة

- **مفهوم المناسبة:**

المناسبة في اللغة: يقول ابن فارس: النون، والسين، والباء، كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه: النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به.... والنسيب: الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض(١).

والمناسبة اصطلاحاً: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في مجموع الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة(٢)، أو هو علم يعرف به ترتيب أجزاء القرآن الكريم(٣).

وهكذا يظهر الاتفاق بين المعنى اللغوي وبين المعنى الاصطلاحي، فكل منهما يعني وجه الربط أو الصلة بين الشيء والأخر.

- **أهمية علم المناسبة:**

وعلم المناسبة يبين وجهاً من وجوه إعجاز القرآن، وهو ترابط معانيه وتناسق آياته وسوره.

يقول الرازي: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة – سورة البقرة – وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته(٤).

وعلم المناسبة في الحقيقة يعتمد علي فتح الله –تعالى– للمفسر، وعلي قدر تعلق قلبه بالقرآن، وشدة تأثره به.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٣٤٠) مادة: نسب، تحقيق/ عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٩٦

(٣) نظم الدر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٦/١، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٤) التفسير الكبير (٧/ ١٠٦)

يقول السيوطي: وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته(١).

وعلم المناسبة لا يعرف علي وجه الدقة متى ظهر، لكن اعتبر العلماء أنه ظهر بصورة واضحة في القرن الرابع الهجري علي يد النيسابوري(٢).

كما اهتم به الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) واعتبر أن أكثر لطائف القرآن مودعة فيه(٣).

- **موقف الشيخ الندوي من علم المناسبة:**

والمتأمل في الآيات التي تناولها الشيخ الندوي بالتفسير، يتضح له بجلاء أن الشيخ له باع طويل دقيق في علم المناسبة، من غير اعتساف ولا لوي عنق النص القرآني، فقد ساعد الشيخ علي ذلك توفيق الله –تعالى– له، فقد حباه –سبحانه– بعمق الحاسة القرآنية، وقلب حي، وعاطفة جياشة، يعيش مع القرآن الكريم في حب وشوق، عميق الصلة بالقرآن، مما أهله أن يكون صاحب ذوق في فهم الآيات القرآنية.... وقد ظهر أن الشيخ اهتم بثلاثة من أنواع المناسبة(٤).

إن شاء الله تعالى أثبتها مع ذكر نماذج لها...

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٦٩٤)

(٢) ينظر: أضواء علي ظهور علم المناسبة القرآنية، د/ عبد الحكيم الأنيس، ص ١٤، بحث نشر في دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث في دبي بالإمارات العربية المتحدة في العدد الحادي عشر جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٦٢)، وتفسير الفخر الرازي عند تفسيره للآية (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)النساء/٥٨، (١٠/ ١١٣)

(٤) علم المناسبات أنواع كثيرة، تتبعها العلماء المهتمون ببيان إعجاز القرآن الكريم، منها: المناسبة بين السور، وبين الآيات، ومناسبة خاتمة الآية للآية، ومناسبة فواتح السور للسور، ومناسبة أوائل السور لأواخرها، إلي غير ذلك من أنواع المناسبات التي ذكرها السيوطي وغيره.
ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي، ص ٥٤، تحقيق عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **المناسبة بين الآيات.**

ذكر السيوطي قاعدة نافعة في معرفة علم المناسبة: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو: أنك تنظر إلي الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر إلي ما يحتاج ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلي مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلي ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلي الأحكام أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلي الوقوف عليها(١).

عند تفسير الشيخ الندوي –رحمه الله– لقول الله تعالى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)(٢)

يقول: قوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر) ما أجمل موقعه بعد قوله: (ألم يجدك يتيما فأوى) فمن ذاق مرارة اليتم بنفسه، فأخلق به إذا كان ذا شعور ومروءة أن يستشعرها في غيره، فاليتيم أعرف خلق الله تعالى بحال اليتيم، وأعرف بما يذوقه ويتحمله، فإنه قد اجتاز هذه المرحلة أيضاً، فأراد الله سبحانه أن لا ينسى يتمه مهما طال عهده به، وأن يستحضره عند رؤية اليتيم(٣).

---

(١) الإتقان (٢/ ٩٨٢)

(٢) سورة الضحى: الآيات ٦، ٧، ٨

(٣) تأملات في القرآن الكريم، ص ٨٢، وقد أشار بعض المفسرين إلي هذه المناسبة، أي مناسبة أمر الله تعالى لنبيه في قوله (فأما اليتيم فلا تقهر...) للامتنان عليه في قوله (ألم يجدك يتيماً فأوى...)

ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦٣٨)، وتفسير أبي حيان (٨/ ٤٨٢)، والنيسابوري (٧/ ٣٥٦)، والتحرير والتنوير (٣/ ٣٥٤)

- **المناسبة بين أجزاء الآية.**

يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[١]

إن هذه الآية الكريمة تناولت مراحل اعتناقهم للحق وإيمانهم واهتدائهم واستقامتهم، وثباتهم عليه بترتيب لطيف خاص، وهو الترتيب الصحيح لمراحل الإيمان والدعوة المتسلسلة المترابطة، وقد صرحت الآية بأنهم جرؤوا علي نبذ دينهم السابق، واعتناقهم للحق، وقبول الدعوة الدينية " آمنوا بربهم "[٢] ثم زادهم الله هدى وثباتاً[٣]، ثم لما دخلوا مرحلة الابتلاء والمحنة ربط الله علي قلوبهم[٤]، وهذه هي المراحل الطبيعية الشرعية التي يأتي معها نصر الله وتأييده... ومما يلاحظ أن الله تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع صفة الربوبية، فقال: " إنهم فتية آمنوا بربهم " وقال: " إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض" وذلك لأن الناس كانوا يتصورون انحصار رقيهم وازدهارهم وكفالة حاجاتهم وقضاء متطلباتهم في الوفاء للحكومة والوظائف والمناصب، ولم يكونوا يتصورون الراحة والطمأنينة

(١) سورة الكهف: الآيتان ١٣، ١٤

(٢) كان في غير القرآن أن يقال: " آمنوا بالله أو آمنوا بنا "، ولكن أوثر هذا التعبير للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم، فهم مربوبون له مملوكون. ينظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٢١٠)

(٣) أي: ثبتناهم علي ما كانوا عليه من الدين، وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه، ولم يأتي التركيب " وزدناهم " لما في لفظة "نا" من العظمة والجلال ففيه التفات من الغيبة إلي ما عليه سبك النظم سباقاً وسياق من التكلم.

ينظر: البحر المحيط (٦/ ٧٨) وتفسير أبي السعود (٥/ ٢١٠)

(٤) تعدية فعل " ربطنا" بحرف الاستعلاء للمبالغة في الشد؛ لأن حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن من الفعل، فكأن الله –تعالى– أسكن في قلوبهم اليقين، فلم يسمع فيها هواجس التخمين ولا وساوس الشياطين.

ينظر: تفسير الألوسي (١٥/ ٢٥٨)، والتحرير والتنوير (١٥/ ٢٧٢، ٢٧٣)

والعيش الهنيء بدون ذلك، فإنهم لقولهم[١]: ليس لنا رب وكافل إلا الله رب السماوات والأرض، لا حكومة تربينا ولا مخلوق يرزقنا، ضربوا علي تلك العقيدة الجاهلية الفاسدة، وأعلنوا أن رزقهم ونفعهم وضررهم راجع إلي الله تعالى وحده.

إن كل آية في القرآن الكريم معجزة برأسها، ولكن هذه الآية لاشتمالها علي بيان ترتيب عجيب دقيق لمراحل الإيمان والدعوة والثبات والاستقامة، وإعلان الحق، والصبر عليه، معجزة خاصة وترتيب رباني لطيف[٢].

- **مناسبة خاتمة الآية لموضوعها.**

خاتمة الآية تسمى عند أهل العلم: فاصلة. يقول الراغب[٣]: والفواصل: أواخر الآي[٤]. ويقول الزجاج[٥]:

ورؤوس الآي فواصل[٦].

---

(١) يقول ابن عاشور: إن معنى القيام في قوله تعالى: " إذ قاموا فقالوا " يحتمل أن يكون مستعار للإقدام والجسر علي أمر عظيم، وللاهتمام بالعمل أو القول، تشبيهاً للاهتمام بقيام الشخص من قعود للإقبال علي عمل..... ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٧٣)

(٢) تأملات في القرآن الكريم، ص ٦٠، ٦١

(٣) هو المفضل بن محمد الأصفهاني المعروف بالراغب، صاحب التصانيف، ذكر السيوطي أنه كان في أوائل المائة الخامسة، من مؤلفاته: مفردات القرآن، وأفانين البلاغة، اختلف العلماء في وفاته اختلافاً كبيراً، وقد رجح محقق كتاب " المفردات" أنه توفي سنة ٤٢٥هـ.

ينظر: مقدمة كتاب المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص ١٨: ٣٨، نشر دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، الأولى ١٤١٢هـ.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة: فصل، ص ٦٣٨، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .

(٥) إبراهيم بن السري بن سهل أبو آكانه الزجاج، ولد في بغداد سنة ٢٤١هـ، عالم بالنحو، واللغة، من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، توفي سنة ٣١١هـ.

ينظر: بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه للسيوطي (١/ ٤١١، ٤١٣) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٢١) تحقيق: عبد الجليل شلبي، نشر عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

والمناسبة بين خاتمة الآية ومضمونها تحتاج إلي تأمل دقيق، يقول الزركشي: اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب[١].

والشيخ في تأمله لخاتمة الآية لموضوعها، لم يخرج عن القاعدة التي ذكرها الزركشي.

- يقول في بيان صلة فاصلة " لعلكم تتقون" بموضوع الآية في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٢]

ذكر سبحانه وتعالى أن الصوم ليس امتحاناً فقط، ولا مشقة ليست وراءها قصد، إنه رياضة وتربية وإصلاح وتسكين، ومدرسة خلقية، يتخرج فيها الإنسان فاضلاً كاملاً، زمامه بيده يملك نفسه وشهوته، ولا تملكه، لقد استطاع الإضراب عن المباحات والطيبات، فقوي علي ترك الممنوعات والمحرمات، وترك الماء الزلال والحلال، والطعام الزكي الهنيء لأمر ربه، فكيف يقرب الحرام والرجس النجس من المطاعم والمشارب والمعايش؟ لذلك قال: " لعلكم تتقون "[٣]

تأمل الشيخ الندوي في جملة " لعلكم تتقون " وظهر له أنها لبيان لحكمة الصيام وما لأجله شرع، فهي في قوة المفعول لأجله للفظ " كتب" فالصوم يحول بين الإنسان وبين المعصية، كما قال النبي – صلى الله

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٠٧)
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٣
(٣) تأملات في القرآن الكريم، ص ١٩

عليه وسلم – " فعليه بالصوم فإنه له وجاء " [١]، ويصل بذلك إلي رتبة التقوى[٢].

– يقول عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[٣]

لما كان الجمع بين البر بالأبوين وبكل من له حق وفضل، وبين مفارقتهما ومجانبتهما في العقيدة –بر الأبوين من غير طاعة في الكفر والإثم، والثبات علي التوحيد وعبادة الله من غير هضم لحقوق الوالدين – لما كان ذلك مهمة عسيرة دقيقة لا يطلع علي زلاتها إلا العليم الخبير قال: (إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون)[٤] .

وقد لاحظ الشيخ الندوي صلة خاتمة الآية بموضوعها، أن الله تعالى لما أمر المسلم بعدم طاعة والديه حين يأمراه بمعصية الله تعالى، قد تنازعه نفسه ويدفعه هواه إلي مدارة طاعتها، فأراد الله تعالى أن يبعد هذا الهاجس عن نفس المسلم، بإخباره بأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية، وقد أشار إلي هذا المعنى الرازي في تفسيره، يقول: (فأنبئكم بما كنتم تعملون) لا تظنوا أني غائب عنكم وآباؤكم حاضرون فتوافقون

(١) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من خاف علي نفسه العزوبة، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن طاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال عن عجز المؤن بالصوم.

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (١/ ١٩٨)، والتحرير والتنوير (٢/ ٢١٠)

(٣) سورة لقمان: الآية ١٥

(٤) تأملات في القرآن الكريم، ص ٧٣

الحاضرين في الحال، اعتماداً علي غيبتي أو عدم علمي بمخالفتكم إياي، فإني حاضر معكم أعلم ما تفعلون، ولأنسي فأنبئكم بجمعه[١].

- **المناسبة في السورة (السورة كوحدة مستقلة)[٢]**

والمقصود النظر في تناسب آيات السورة ككل، والبحث في تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجز بعض، حتى إنها لتنتظم منها وحدة محكمة لانفصام لها[٣].

يقول عند تفسيره لسورة " العاديات": للمفسرين –رحمهم الله تعالى– أقوال في وجه الإقسام بالخيل، ووصفها بصفات مخصوصة، أحسنها: أن الله تعالى أقسم بها متصلة بصفاتها التي ذكرها... لينوه بشأنها ويعلي من قدرها... وهذا كلام حكيم ومعنى شريف... بيد أنه مستقل لا يفهم من ظاهر الكلام المبين، ولا من سياق الآيات خصوصاً، ولا يرتبط بقوله تعالى: (إن الإنسان لربه لكنود) الذي يظهر أنه عمود السورة وقطب الرحى، والذي من أجله سيقت الآيات التي وصف فيها الخيل... اقرأ هذه الآيات التي وصف الله تعالى فيها الخيل مع قوله (إن الإنسان لربه لكنود) مراراً مع خلو الذهن من كل ما قيل فيها.... ترى أن الله سبحانه يصف الخيل في هذه السورة بأوصاف ويذكر لها أعمالاً كلها ترجع إلي نقطة، وهي الوفاء والفداء والإيثار لسيدها.

فهي التي تفديه بنفسها، وتسقى لنعيمه، وتموت لحياته، ولا تعرف لنفسها ولا لحياتها حقاً، ترمي بنفسها في الخطر، وفي النار، وفي

(١) تفسير الرازي (٢٥/ ٣)

(٢) ينظر: مباحث التفسير الموضوعي، د/ مصطفى مسلم، ط٧٠، دار القلم، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م، ومصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن والسور، عادل محمد أبو العلاء، ص ٩٣، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٩، السنة ٣٧ – ١٤٣٥هـ.

(٣) النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، ص ١٧٦

البحر..... وتتحمل المشاق تعدو صبحاً، وتوري قدحاً، ولا تصوير أبلغ من تصوير الله سبحانه، تفعل كل هذا مع ربها، وهو ليس لها برب، والذي هو من غير جنسها والذي يستخدمها أكثر مما يخدمها، وهو الحيوان غير الناطق غير العاقل فكيف العاقل الشريف مع ربه الحقيقي وولي نعمته، " إن الإنسان لربه لكنود" فللإنسان عبرة في دواجنه وفي عبيده المسخرة " وإنه علي ذلك لشهيد" يشهد به لسان الحال ولا يجحد به بلسان المقال، وإن كذب اللسان فأحوال الإنسان وسيره تصرخ بذلك، وتنادي.

" وإنه لحب الخير لشديد " والعلة الطبيعية لذلك أن الإنسان لا يقدر أن يجمع بين الربين يعبدهما ويخدمهما (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)[١]، (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[٢].

فهذه السورة قد اشتملت علي بيان المرضى، وهو قوله تعالى: (إن الإنسان لربه لكنود)، وعلي علته وهو قوله تعالى: (وإنه لحب الخير لشديد) وعلي علاجه وهو قوله تعالى: (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور) إلخ، فالإيمان بالآخرة وتذكر الموت يكشف الغطاء عن العين، ويفيق من سكرة الدنيا، قال النبي _صلى الله عليه وسلم- [٣] (أكثروا من ذكر هازم اللذات)[٤] .

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٩

(٣) تأملات في القرآن الكريم، ص ١٠٩، ١١١

(٤) ذكره أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٣٥٣) نشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

المبحث الثالث: المبـــهمـــات

- **المبهمات في اللغة وفي الاصطلاح:**

في اللغة: المبهمات: جمع مبهم، قال ابن فارس: الباء والهاء والميم. أن يبقى الشيء لا يُعْرف المأتى إليه، يقال: هذا أمر مبهم(١).

والطريق المبهم: إذا كان خفيا، لا يستبين، واستبهم عليه الكلام: استغلق(٢).

- **المبهمات اصطلاحاً:** كل لفظ ورد في القرآن الكريم، من ذكر من لم يسمه الله –تعالى– باسمه العلم، من نبي أو ولي أو غيرهما، من آدمي أو ملك، أو جني أو بلد أو كوكب أو شجر، أو حيوان له اسم علم، أو عدد لم يحدد، أو زمن لم يبين، أو مكان لم يعرف(٣).
- **موقف العلماء من المبهمات:**

وقد قسم العلماء علم المبهمات إلي قسمين: قسم جائز فيه البحث، وهذا هو محل الحديث، وقسم غير جائز فيه البحث؛ كالأمور التي استأثر الله –تعالى– بها كالروح (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(٤) ، وقد عد الإمامان الزركشي (ت ٧٩٤هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ) –وهما من أشهر أصحاب الكتب الجامعة في علوم القرآن– هذا العلم علماً مستقلاً من علوم القرآن، بيد أنهما لم يتفقا علي

(١) معجم المقاييس لابن فارس (٣١١/١) مادة: بهم، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
(٢) تهذيب الأزهري (١٧٩/٦)، ولسان العرب (٥٦/١٢) مادة: بهم.
(٣) التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن الكريم من الأسماء والأعلام لأبي القاسم عبدالرحمن السهيلي، ص٨ ، غرر التبيان لمبهمات القرآن لابن جماعة، ص٣٨، ومقدمة تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل لمحمد بن علي البلنسي (٣٥/١).
(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٥

موقع ترتيبه بين هذه العلوم، فالزركشي عده من النوع السادس[١]، والسيوطي[٢] عده من النوع السبعين.

وقد صنف كثير من العلماء مصنفات مستقلة في علم المبهمات منها:

١- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام[٣]، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي[٤].

٢- غرر التبيان في من لم يسم في القرآن[٥]، لبدر الدين بن جماعة[٦].

٣- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن[٧]، للسيوطي.

وعلم المبهمات لا يخضع للرأي ولا للهوى، فهو باب من أبواب التفسير المأثور، يقول السيوطي: مرجع هذا العلم النقل المحض، ولا مجال للرأي فيه[٨].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/١٥٥) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/٩٣) .

(٣) مطبوع بمطبعة الأنوار بالقاهرة، باعتناء الشيخ/ محمود ربيع.

(٤) هو أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب بن أبي محمد بن عبد الله بن الخطيب السهيلي، كان له حظ وافر من العلم والأدب، وله تأليف مفيدة منها هذا الكتاب، وكتاب الروض الأنفس في شرح سيرة سيدنا رسول الله(ﷺ)، توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وكان رحمه الله مكفوفاً، وعاش اثنتين وسبعين سنة.

ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرصون المالكي (١/٨٩)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر.

(٥) نشرته دار ابن قتيبة، بتحقيق د/ عبد الجواد خلف.

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، لقبه أبو عبد الله، وكنيته بدر الدين، ولد بحماة سنة ٦٣٩هـ، ولي القضاء والخطابة في القدس ودمشق والقاهرة، وظل قاضي للقضاة في مصر وحدها خمساً وعشرين سنة، من آثاره العلمية هذا الكتاب، و كشف المعاني عن متشابه المثاني، وقد حققه السيد عبد الغفار في الجامعة الإسلامية وحصل به علي درجة الماجيستير، وتوفي ابن جماعة سنة ٧٣٣هـ.

ينظر: طبقات الشافعية، لأبي بكر أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (٢/....)، دار النشر: عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٧) مطبوع بمؤسسة علوم القرآن بدمشق – ١٤٠٣هـ، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا.

(٨) مفحمات الأقران للسيوطي، ص٨

وقد اعتنى به كثير من الصحابة والتابعين، فقد روي عن ابن عباس– رضي الله

عنهما– قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–[١] عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت كنا ببعض الطريق عدل إلي الأراك لحاجة، قال: فوقفت له حتى فرغ. ثم سرت معه، فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا علي النبي (ﷺ) من أزواجه؟[٢]، فقال: تلك حفصة وعائشة"[٣].

قال السهيلي معلقاً علي هذا الحديث: فهذا أوضح دليل علي اعتنائهم بهذا العلم ونفاسته عندهم[٤].

وقال السيوطي: قال العلماء: هذا أصل في علم المبهمات[٥].

ولا ينبغي أن يتسرب إلي الذهن أن الإبهام هنا ينافي البلاغة والإعجاز، بل هو سر من أسرار الإعجاز، وزيادة في قوة البلاغة لأن الإبهام في القرآن الكريم في موقعه ومناسبته أحسن من الإيضاح

---

(١) ولعل الذي دفعه لطلب هذه المعرفة ما جبلت عليه النفس البشرية من البحث عما خفي عنها من المعارف، يقول السهيلي: فالنفوس من طلاب العلم إلي مثل هذا متشوقة، وبكل ما كان من علوم الكتاب متحلية ومتشرفة، وإذا كان أهل الأدب لا يفرضون بمعرفة شاعر أبهم اسمه في كتاب، وكذلك أهل كل صناعة يعنون بأسماء أهل صناعتهم، ويرونه من نفيس بضلعتهم، فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أبهم فيه ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة... ينظر: مقدمة التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، ص٨.

(٢) وهذا من آداب طالب العلم، أن يحرص علي العلم، ويتحين الفرص المناسبة، ويتحلى بالصبر في طلبه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير: باب سورة التحريم (تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) (٢٤١/١٢)، ومسلم في كتاب الطلاق – باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيرهن.

(٤) التعريف والإعلام للسهيلي، ص٩

(٥) مفحمات الأقران للسيوطي، ص٨

والتعيين، فالإبهام يكون للتشويق، وللتعظيم، وللتهويل، وللتحقير، وغير ذلك[١].

- **موقف الندوي من مبهمات القرآن:**

الشيخ الندوي لم يشغل نفسه بالبحث عن ما جاء مبهماً في القرآن الكريم، ولا يحاول أن يعينه؛ لأن تعينه ليس له أثر في فهم الآية وتفسيرها، وليس هناك حاجة تدعو إلي تسمية تلك المبهمات، وإنما يركز علي ما يستفاد من الإبهام بما ينفع الناس في دينهم ودنياهم...

١- **فعند تفسيره لقول الله تعالى:** (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا.....)[٢] ، قال: إن هذه الآية -وإن أشارت إلي حادثة خاصة- ظهرت فيها قدرة الله -عز وجل- بأن أحيا ميتة بعد مائة عام غضا طريا، وأبقى الطعام -الذي يفسد في الفضاء المفتوح بسرعة- مائة عام لم يفسد ولم يتعفن، فإنني أعتقد أن الآية تنطوي علي معنى لطيف آخر، وهو أن الله -عز وجل- قد يحيي دينه ورسالته بعد خمودها[٣].

فالشيخ -رحمه الله- لم يهتم بتعيين شخصية اسم المار ولا بتحديد مكان القرية[٤]، ولم يشغل القارئ عن أخذ العبرة من القصة، فليس في

(١) ينظر: البرهان للزركشي (١٥٦/١)، والإتقان للسيوطي (٩٣/٤، ٩٤).

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٥٩

(٣) تأملات في القرآن الكريم، لأبي الحسن الندوي، ص٣١

(٤) ذكر بعض المفسرين أن المراد بالقرية، بيت المقدس، أو الأرض المقدسة، أو قرية العنب، وأن المار هو عزير، أو أورميا بن حلقيا، أو الخضر، أو هو كافر شاك، وهذه الأقوال ليس لها مستند يؤيدها، ولذا رجح الطبري عدم التعيين. ينظر: تفسير الطبري (٤٣١/٥: ٤٣٥)، وتفسير البغوي (٣١٧/١)، وتفسير ابن كثير (٦٦٧/١)

تحديد الشخص المقصود، أو بيان القرية المرادة، ما يساعد في تفسير الآية، أو الاستفادة منها بما يصلح لنا حياتنا... [١] .

وسياق الآية الاستدلال علي البعث بحالة حسية واقعية، والشيخ استنبط هداية قرآنية من الآية، وهي أن الله –تعالى– قادر علي أن يحي الأرض التي ماتت ببعدها عن دين الله –تعالى–، ولذا جعل هذه الآية تحت عنوان: إمكان الانبعاث الديني بعد خمول طويل واضطهاد كبير[٢].

ولعله أخذ هذا المعنى من موقف الذي مر علي القرية، كيف هداه الله –تعالى– إلي اليقين، بعد أن قضى من عمره زمناً في ظلمة الشك والشبه، فهذا يمثل فرد في أمة، وما الأمة إلا مجموعة أفراد، وهذه الهداية تطرد اليأس من قلوب الناس، وتبعد عن نفوسهم الملل.

يقول الندوي: فإذا كان الله –تعالى– قادراً علي إبقاء الطعام طيباً شهياً لمائة عام لم يفسد ولم يأسن، فهو قادر –جل شأنه– علي إبقاء دينه بعد مضي مائة عام أو أكثر عليه، في أوضاع متنكرة وظروف قاسية – حيناً– غضاً صحيحاً، وإني أرى في هذه الآية الكريمة، بشرى سارة بأن الشعوب والبلاد التي رفعت لواء الإسلام، وأرهبت الغرب المستعمر قروناً من الزمن، ستعود إلي الازدهار والحياة والنشاط[٣].

(١) وعلي هذا درج كثير من المفسرين، ينظر: تفسير الخازن (٢٧٤/١)، ويقول رشيد رضا: وقد أبهم الله –تعالى– هذا المار وهذه القرية فلم يذكر مكانها وأصحابها، بل اقتصر علي الوصف الذي تقرر به الحجة حتى لا يشغل القارئ أو السامع عنها شاغل، فهو من الاختصار البليغ. ينظر: تفسير المنار (٤٩/٣)، وزهرة التفاسير (٩٦٠/٢)،دار الفكر العربي، بيروت .

(٢) تأملات في القرآن الكريم، لأبي الحسن الندوي، ص٣١

(٣) تأملات في القرآن الكريم، لأبي الحسن الندوي، ص٣١

٢- **عند تفسيره لقول الله تعالى:** (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[١] ، يقول: وجه هذه الموعظة، والد أكرمه الله بالعقل الحصيف والحكمة البالغة التي لا يؤتاها إلا الأفذاذ الراسخون في العلم، وقد قال الله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) وجهها إلي ولده وفلذة كبده، فجمعت بين شفقة الأب وهداية الأنبياء، وقد انتقى الوالد الكريم لولده الحبيب الأثير، أصول الحكم وجوامع الكلم، وفضائل الأعمال، ومكارم الأخلاق، فجاءت موعظة فريدة يعمل بها العقلاء في كل عصر ومصر، فينالون سعادة الدنيا والآخرة[٢]، ثم يقول أبو الحسن في نهاية شرحه لموعظة لقمان واصفاً إياها بأنها موعظة مخلصة رقيقة ألقاها عبد مخلص حكيم علي ولده العزيز[٣].

فالشيخ هنا مشى مع الآية إجمالاً، فوقف عند النص ولم يتعداه إلي إيضاح ما جاء مبهماً.. فلم يسعى إلي بيان شخصية "لقمان" ووظيفته[٤]، وإنما تحدث عن أهمية وعظ الولد لابنه، مع مراعاة حسن المخاطبة.

فعدم تحديد الشخصية هنا أوقع في النفس، فلربما لو حددت، لقيل إن مثل هذه الموعظة لا تكون إلا من مثل هذا الشخص فقط، وفي بيئته

(١) سورة لقمان: الآية ١٣

(٢) تأملات في القرآن الكريم، لأبي الحسن الندوي، ص٧٢

(٣) تأملات في القرآن الكريم، لأبي الحسن الندوي، ص٧٤

(٤) تكلم كثير من المفسرين في شخصية "لقمان"، فذهب أكثرهم إلي أنه حكيم، وروي عن عكرمة أنه نبي، وعن ابن عباس: أنه كان عبداً حبشياً نجاراً، وعن ابن المسيب: أنه كان خياطاً، وقيل: أنه كان راعي الغنم، وقيل: إنه من سودان مصر...، وقيل: إن ابنه اسمه أنعم، وقيل: مشكم..... ينظر: تفسير الطبري (١٣٥/٢٠)، وتفسير البغوي (٣٨٧/٦)، وابن كثير (١٣٣/٦).

وظروفه، وزمانه فقط، ومن هنا لم تبين الشخصية؛ ليعلم الناس أن موعظة الوالد لولده مطلوبة من كل والد وفي كل زمان، وفي كل مكان.

٣- **عند تفسيره لقول الله تعالى:** (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا)[١]، يبتعد الندوي عن تحديد شخص الرجلين[٢]، علي اعتبار أن الفائدة لا تتوقف علي التحديد، ويرتكز علي مغزى القصة، فيقول: قص رجل حالفته السعادة، وتوفرت له أسباب الهناء والرخاء له جنتان من أعناب... يفاخر صديقاً له لا يعادله في هذه السعادة، فيقول صراحة: (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) وهذا الصديق قد فتح الله بصيرته للحق والإيمان... فذكر صديقه بأن ما فيه من أسباب السعادة والهناء ليس من صنع الأسباب... وإنما هو من صنع الله الذي أتقن كل شيء. ويلفته –في حكمة ورفق– إلي الاعتراف بصنع الله وقدرته، وإسداء كلمة الشكر والحمد (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)[٣] ، ولما كان صاحب الجنتين يعتمد علي الأسباب وحدها دون مسبب الأسباب، طاف علي الجنتين طائف من الله

---

(١) سورة الكهف: الآية ٣٢

(٢) ذكر بعض المفسرين أن الرجلين إما أن يكونا مقدرين، أو محققين، وقيل: هما أخوان من بني إسرائيل، أو شريكان أحدهما: كافر واسمه فطروس، والثاني: مؤمن واسمه يهوذا. وقيل: هما أخوان من بني مخزوم من أهل مكة أحدهما: كافر واسمه الأسود بن عبد الأسد، والآخر: مسلم هو عبدالله بن الأسد...

ينظر: الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (١٦٩/٦) دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، النكت والعيون للماوردي (٣٠٦/٣)،دار الكتب العلمية، بيروت، البحر المحيط لأبي حيان (٩٣/٦)، دار الفكر، بيروت، تفسير القرطبي (٣٩٩/١٠)، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(٣) سورة الكهف: جزء من الآية ٣٩

تعالى: (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا)[١] ، الظاهر الذي لا خفاء فيه أنه أشرك بالله الأسباب، فاعتقدها المصرفة المؤثرة، التي يرجع إليها الفضل في رخائه وثرائه[٢]، وازدهار ماله، واعتمد عليها، ونسي الله، وكفر بتأثيره وتصرفه[٣].

٤- **وعند تفسيره لقول الله تعالى:** (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا)[٤] ، لم يرتضي الندوي ما ذكره المفسرون من تعيين شخصية ذي القرنين؛ لأنهم لم يذكروا الدليل القاطع الدال علي التعيين، واعتمدوا علي روايات ضعيفة وموضوعة لا ترتقي لأن تكون مفصلة لما أجمله القرآن الكريم.

يقول الندوي: (قصة ذي القرنين)

اختلف المفسرون في شخصية هذا الرجل، والقول الشائع المشهور أنه الإسكندر المقدوني، وهو القول الذي انتصر له الإمام الرازي[٥]، وذهب إليه عامة علماء الإسلام[٦]، ولكنه قول لا وجه له؛ لأن الإسكندر

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٤٢، ٤٣

(٢) أشار إلي هذا المعنى أبو حيان، فقال: " ولا أشرك بربي أحدا" أراد بذلك أنه لا يرى الغنى والفقر إلا منه سبحانه وتعالى يفقر من يشاء ويغني من يشاء... ينظر: البحر المحيط (٩٥/٦)

(٣) ينظر: تأملات في سورة الكهف، لأبي الحسن الندوي، ص٧٢، ٧٩

(٤) سورة الكهف: الآية ٨٣

(٥) أيد الإمام الرازي هذا القول علي اعتبار أن الإسكندر المقدوني مشهور في التاريخ بأن ملكه بلغ أقصى المغرب وأقصى المشرق. ينظر: تفسير الرازي (١٣٩/٢١).

(٦) ينظر تفاسير: النكت والعيون للماوردي (٣٣٧/٣)، والخازن (٢٣٨/٤)، وأبي حيان (١٤٩/٦)، والقرطبي (٤٦/١١)، وأبي السعود (٢٣٩/٥)،دار إحياء التراث العربي، بيروت، والألوسي (٢٥/١٦)،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ .

المقدوني لا تتحقق فيه الصفات التي ذكرها القرآن في وصف ذي القرنين، من اتصافه بالإيمان بالله وخشيته، والعدل والرأفة بالمفتوحين... ونحن نوافق علي ما كتبه الأستاذ الشهيد سيد قطب في هذا المقام يحسن بنا أن ننقله حرفياً.. أن القرآن لا يذكر شيئا عن شخصية ذي القرنين ولا عن زمانه أو مكانه، ولا ينبغي اللجوء في تحديد هذه الشخصية إلى التاريخ لسببين واضحين:

أولهما: أن التاريخ مولود حديث العهد، فاتته أحداث لا تحصى في تاريخ البشرية، لم يعلم عنها شيئا، والقرآن يروي بعض هذه الأحداث التي ليس لها لدى التاريخ علم بها.

وثانيهما: أن التاريخ –وإن وعى بعض هذه الأحداث– هو عمل من أعمال البشر القاصرة يصيبه ما يصيب جميع أعمال البشر من القصور والخطأ والتحريف. ونحن نشهد في زماننا هذا –الذي تيسرت فيه أسباب الاتصال ووسائل الفحص– أن الخبر الواحد أو الحادث الواحد يروى على أوجه شتى، وينظر إليه من زوايا مختلفة، ويفسر تفسيرات متناقضة. ومن مثل هذا الركام يصنع التاريخ، مهما قيل بعد ذلك في التمحيص والتدقيق[1].

ثم يذكر الندوي أن إبهام الشخصية لا يضر المسلم، فيقول: وسواء اهتدينا إلي شخصية معينة مؤكدة، أم لم نهتد إليها، فإن ذلك لا يضر قارئ القرآن الكريم ولا ينقصه، فهو رجل آتاه الله –تعالى– القوة والأسباب... ويملك أعظم مقدار من الأسباب والوسائل، ويوسع فتوحاته ومغامراته، وهو في كل ذلك، وفي أوج قوته وسلطانه وسيادته، وتسخيره

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/٦، ١٠)، دار الشروق.

للقوى والأسباب، مؤمن بربه خاضع له، مؤمن بالآخرة ساعٍ لها مقر بضعفه، رحيم بالإنسانية وبالأمم الضعيفة، حامٍ للحق، يستخدم كل قوته وجهده ومواهبه لخدمة الإنسانية، وتكوين المجتمع الصالح، وإعلاء كلمة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلي النور، ومن عبادة الناس والمادة إلي عبادة الله[١]. هكذا نجد الشيخ لا يعنيه تحديد المبهم الذي لم يحدد من طريق صحيح، ولعل هذا هو الطريق الأمثل في التعامل مع المبهمات الذي ينبغي للمفسر أن يسلكه.

يقول ابن تيمية[٢] في معرض حديثه عن المبهمات: إلي غير ذلك مما أبهمه الله -تعالى- في القرآن مما لا فائدة من تعيينه تعود علي المكلفين في دنياهم ولا دينهم[٣].

(١) تأملات في سورة الكهف للندوي، ص ١٠٣، ١١٠

(٢) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبدالحليم الحراني، ولد سنة ٦٦١هـ، برع في علوم الإسلام، ومن الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد، بلغت تصانيفه ثلاثمائة مجلد، توفي سنة ٧٢٨هـ. ينظر: الأعلام (١/١٤٤).

(٣) مقدمة التفسير لابن تيمية، ص١٠٠

المبحث الرابع: التفسير

لا شك أن علم التفسير يعتبر جزءاً من علوم القرآن، بل هو من أكبر علومه، فقد ذكره الزركشي في البرهان في النوع الحادي والأربعين[١]، والسيوطي في الإتقان، في النوع السابع والسبعين[٢]، ومحمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان في بداية المجلد الثاني[٣]، ومناع القطان في مباحث علوم القرآن[٤].

- **رؤية أبي الحسن للتفسير:**

نشأ الشيخ على تذوق القرآن الكريم، فلم يكن يقرئه قراءة مجردة، خالية من العاطفة والشعور، ولا قراءة تسلية، بل كان يقرئه بتذوق.

يقول الشيخ: ولما صرنا نشدوا من العربية، وتقدمنا فيها –قليلاً– تعلماً وفهماً بدأ الشيخ ـ يقصد أستاذه خليل اليماني ـ تدريس بعض سور القرآن مثل سورة المؤمنون، والشورى، والآيات الأخيرة من سورة آل عمران (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[٥]، وكذلك أواخر سورة الفرقان (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ١٤٧) ، تحقيق / أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩١هـ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ٢٢٦١)، تحقيق / أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (٢/ ٣)، مطبعة عيسي البابلي الحلبي ، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.

(٤) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص ٣٣٤، مكتبة المعارف، الرياض ، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م، وينظر: بسط الموضوع في كتاب: علوم القرآن، تاريخه، تصنيف أنواعه، د/ مساعد الطيار ص ١٠٨ وما بعدها، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد (١) ربيع الأخر ١٤٢٧هـ.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٩٠

الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)[١]، أذكر هذه الآيات الكريمة -الحبيبة إلي الشيخ- بصفة خاصة وكأن لصدى لحن الشيخ -خليل اليماني- المؤثر المرقق الشجي لا يزال يرن في الآذان، وصارت هذه الآيات تروقنا وتعجبنا نحن لما سمعناها من الشيخ مرات وكرت، وهكذا نشأت صلة ذوقية بالقرآن الكريم[٢].

ويمكن تحديد نظرة الشيخ للتفسير من خلال النقاط التالية:

١- إيمانه بأن القرآن ليس للتذوق اللغوي فقط بل للتذوق الحياتي أيضاً:

كان الشيخ حين يقرأ القرآن ليس بلسانه فقط، بل يجعل مع لسانه قلبه وعقله، ويجد لذة لا تدانيها لذة أخرى، وليس لذه لغوية فقط، بل لذة روحية حياتية إيمانية، تجعل القرآن سيد حياته، وهاديها إلي كل خير، ويعتبر أن القرآن هو المقياس الصحيح الذي يقيس عليه حياته، فيعرض واقعه الذي يعيشه على القرآن.

فعن الأخنف بن قيس -رضي الله عنه- أنه كان جالساً يوماً فعرضت له هذه الآية: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٣]، فانتبه فقال: علي بالمصحف لألتمس ذكري اليوم حتى أعلم مع من أنا ومن أشبه. ثم قال: عرضت نفسي على القرآن فلم أجد نفسي بشيء أشبه مني بهذه الآية: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٣

(٢) قصة دراستي القرآنية، ص ١٠

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[1]، وهكذا كان الشيخ يلتمس ذكره في القرآن.

يقول: ولما تقدمنا تقدماً ملحوظاً في دراسة اللغة العربية، بدأنا نجد لذة ومتعة في تلاوة القرآن الكريم، وكانت حدثت يومئذ في أسرتنا أحداث، وألمت بها خطوب كانت –في حد ذاتها– تفسيراً عفوياً إذا صح هذا التعبير، وكان يتراءى بوضوح أن نظام المجازاة الإلهي نظام كوني شامل متكامل، وأن لسيرة الأمم والجماعات وسلوكها أثراً كبيراً في عروجها وانحطاطها، وإقبالها وإدبارها وأن: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[2] ، حقيقة أبدية، وزدنا إيماناً على إيمان بأن هذا الكتاب كتاب حي خالد، إنه لا يعرض إلا لأحداث الأحياء وقصصهم وإنه مرآة للحياة، يستطيع كل شخص أن يرى فيها صورته، ويبحث فيها عن نفسه وحقيقته[3].

٢– قوة اتصاله بالقرآن:

انصرفت عناية الشيخ واهتمامه إلي القرآن الكريم، فصحبه قراءة وتأملاً ومنهجاً، فنشأت علاقة قوية متينة بينه وبين القرآن الكريم، كشفت له أسراره، وفتحت له معانيه.

يقول الشيخ: وهذا الذي كنت أراه بوضوح من أن هذا الكتاب العجيب يتضمن ذكر الأمم والأسر، والأفراد، وبيان أسباب نهضتها وتخلفها وتقدمها وتأخرها، ولقصر همتي وقلة حظي من العلم، وضآلة

(١) ينظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٧٨) دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م، والآية من سورة التوبة، الآية ١٠٢

(٢) سورة الرعد، جزء من الآية ١١

(٣) قصة دراستي القرآنية، ص ١١، ١٢

بضاعتي فيه، لم يكن لي بصر بتاريخ الأمم، وكانت مساحة اطلاعي ودراستي قاصرة محدودة، فكانت تتجلى لي صداقة القرآن أروع ما يكون الجلاء والوضوح في إطار أسرتي ومعارفي، فهذا الاكتشاف أدى إلي تقوية اتصالي بالقرآن الكريم، ورغبتي فيه وإقبالي عليه، وكنت أستمتع – آنذاك– بتلاوة سورة " المائدة " و " الأنعام " و " الأعراف " [١].

٣– شعوره بالإعجاز القرآني:

من السمات الشخصية التفسيرية للشيخ أنه لمس بوجدانه وذوقه الإعجاز القرآني، وشعر به شعوراً ملك عليه قلبه، بحيث لم يعد بحاجة إلي دليل خارجي علي هذا الإعجاز، ولا تستطيع أي مؤثرات –مهما كان قوتها– أن تزحزح إيمانه به أو تشككه فيه.

وأراد الله –تعالى– أن يجعل مرد هذا الشعور إلي أمرين:

أ– كثرة ملازمته لأستاذه الذي امتاز بالذوق الأدبي الرفيع.

ب– المعايشة الدائمة مع الأدب العربي والأنس به.

يقول الشيخ: فإن أستاذي الجليل –صاحب النظر العميق والذوق الحميد– الشيخ خليل قام بتدريسي الأدب العربي، فقد ظللت أدرس ثلاث سنوات كاملة مادة الأدب من " المطالعة العربية " إلي " نهج البلاغة " و" الحماسة " و" دلائل الإعجاز " وما إلي ذلك، فأسفرت مصاحبة الأستاذ ذي الذوق الصحيح، والمعايشة للأدب العربي مصبحاً وممسياً عن أنس وكلف خاصين باللغة العربية، جعلاني أشعر بحلاوتها ولذتها، ولم تعد هناك حاجة –بالنسبة لي– إلي تدليل علي الشعور بدقة كلام دقيق، وروعة تعبير رائع، فبدأت أشعر –وجدانياً وذوقياً– بالإعجاز القرآني، وغدا

(١) قصة دراستي القرآنية، ص ١٢

ذلك –الإعجاز– حقيقة بدهية غير محتاجة إلي دليل آخر، أو شهادة خارجية البتة، إن كل نقطة من نقاط القرآن الكريم صارخة ناطقة بأنها كلام الله، ولا يستطيع أن يؤثر علي ذلك الإيمان واليقين شك، أو إنكار العالم بأجمعه(١).

٤– ملازمته لبعض كتب التفسير وتأثره بها:

كان أبو الحسن الندوي –رحمه الله تعالى– لديه شغف وحرص علي قراءة الكتب، فكان يمضي أكثر وقته في القراءة، خصوصاً كتب التفسير.

يقول: فكان معظم الوقت ينفق في مطالعة كتب التفسير القديمة...(٢) ، ويقول: وبعد الفراغ من الحديث الشريف انقطعت كلياً إلي التفسير أعكف علي قراءة مصادره وكتبه(٣).

ومن كتب التفسير التي كان لها أثر في تكوين شخصيته التفسيرية(٤):

١– تفسير الطبري (ت ٣١١هـ)(٥)

كان يرجع إليه في محاضراته وبحوثه، حتى خبر قيمة الكتاب وما حواه من موضوعات تتصل بكثير من العلوم.

يقول: ولما احتجت –بعد زمن التدريس– إلي مراجعة " تفسير الطبري" في أعمال علمية، انكشفت لي قيمة هذا التفسير وقدره، وتبينت أنه ليس مكتبة ضخمة في التفسير فقط، بل للتأريخ والأدب أيضاً،

(١) قصة دراستي القرآنية، ص ١٣

(٢) ينظر: قصة دراستي القرآنية للندوي، ص١٨

(٣) قصة دراستي القرآنية للندوي، ص ١٨

(٤) إن شاء الله تعالى أذكر هذه الكتب مرتبة علي تاريخ وفاة المؤلف؛ لأني وجدت من الصعب ترتيبها حسب درجة التأثر؛ لأن الكثير منها يكاد يكون علي درجة واحدة في تأثر الإمام بها.

(٥) المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري المتوفى ٣١١هـ.

ووجودها عند رجل يعتبر نعمة عظيمة، فليس هناك مصدر أوثق منه، ولا أشمل للاطلاع علي عادات العرب الجاهليين، ومعتقداتهم وحياتهم الاجتماعية، وبيئة الأحكام القرآنية وخلفيتها[١].

٢- تفسير البغوي (ت ٥١٦هـ)[٢] ، وقد صرح بأنه قراءه[٣].

٣- الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[٤]

وقد ذكر أنه قراءه قراءة متأنية، يقول: وقرأت الكشاف للزمخشري قراءة استيعاب واستقصاء[٥].

٤- تفسير الرازي (ت ٦٠٦هـ)[٦]

قراءه قراءة مكنته من أن يدافع عن الرازي، فقال -مبيناً أثر قراءته لتفسير الرازي-: كلما حصلت لي تجربة وهي: أن ما تعرض له "التفسير الكبير" للرازي من الاستخفاف بشأنه وازدرائه في الأوساط العلمية الجديدة، حتى قال القائلون: " فيه كل شيء إلا التفسير"[٧]، إن كل ذلك لا أساس له من الصحة علي الإطلاق، فهو -تفسير الرازي- أبعد ما يكون من أن ينسب إليه مثل هذا الافتراء، وينظر إليه بهذا الازدراء، ولا يستحق ذلك

(١) قصة دراستي القرآنية، ص ٢١، ٢٢

(٢) المسمى: معالم التنزيل، لمحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى ٥١٦هـ.

(٣) قصة دراستي القرآنية، ص ١٨

(٤) المسمى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

(٥) قصة دراستي القرآنية، ص ١٩

(٦) المسمى: مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المتوفى ٦٠٦هـ.

(٧) وقد حكى هذه المقولة الإمام أبو حيان في تفسيره عن بعض المتطرفين من العلماء، هكذا وصفهم، وليس هو قائلها. ينظر: البحر المحيط (١/ ٥١١) دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

البتة، والحقيقة أن فيه –رغم الزوائد– كلاماً نافعاً ممتعاً كثيراً، وأشياء كثيرة قيمة لا توجد في عامة الكتب الأخرى[١].

٥– تفسير النسفي (ت ٧٠١ هـ)[٢] .

لقد ألم به إلماماً كاملاً، بل من كثرة رجوعه إليه حفظ بعضه، يقول: أما المدارك فأحفظ نصفه[٣].

٦– تفسير سورة النور لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)[٤] .

قراءه في مطلع حياته، وكان له أثر في عصمته –بفضل الله تعالى– من الزلل والانحراف الفكري والسلوكي، يقول: وقد أرشدني تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ل " سورة النور" وأفادني في فترة المراهقة الدقيقة والبيئة الموبوءة إفادة كثيرة[٥].

٧– البحر المحيط لأبي حيان (ت ٧٤٥هـ).

كان يرجع إليه أحياناً، ولكنه لم يتفاعل معه، يقول: وهناك كتب تفسيرية أخرى كنت أرجعها أحياناً –في زمن التدريس– مثل البحر المحيط لأبي حيان وغيره، ولكنها لم تترك أي تأثير علي الذهن[٦].

(١) قصة دراستي القرآنية، ص ١٩، ٢٠

(٢) المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات توفي سنة ٧١٠هـ.

(٣) قصة دراستي القرآنية، ص ١٩

(٤) مطبوعة في مكتبة دار السلفية بالهند باعتناء الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد.

(٥) شخصيات وكتب لأبي الحسن الندوي، ص ١٥٦، وقصة دراستي القرآنية، ص ١٧

(٦) قصة دراستي القرآنية، ص ١٨

٨- تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)[١] .

يقول: وقرأت في تلك الفترة -يقصد فترة الانقطاع لمطالعة كتب التفسير- تفسير الجلالين[٢].

٩- الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام شاه ولي الله الدِّهْلَوي (ت ١١٧٦هـ)[٣]

يعتبر الشيخ الندوي هذا الكتاب من الكتب الغير التقليدية، حيث اعتمد المؤلف علي تناول الموضوعات بصورة مبتكرة.

يقول الندوي: إن كتاب الإمام الدَّهْلَوي " الفوز الكبير في أصول التفسير" مأثرة تجديدية ثورية في صدد الدعوة إلي القرآن، وإنشاء ملكة الفهم والتدبر للقرآن الكريم في أوساط الخاصة وأصحاب العلم والمثقفين، وإيقاظ عاطفة الإصلاح للأمة الإسلامية -حسب علمنا- في بابه.....

وإن ما كتبه الإمام الدهلوي في مقاصد القرآن الكريم، وموضوعاته، وخصائص أسلوبه، ومنهجه، .... في كلمات قليلة معدودة يمكن

---

(١) كتاب تفسير لمعاني القرآن اشترك فيه كل من جلال الدين المحلي محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، ولد بالقاهرة سنة ٧٩١هـ، وجلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ولد سنة ٧٤٩هـ، ونشأ في القاهرة، وتوفي بها سنة ٩١١هـ، فابتدأ المحلي تفسيره من أول سورة الكهف إلي الناس، ثم الفاتحة، ثم توفي قبل إتمامه، فأتمه السيوطي، فابتدأ من سورة البقرة إلي سورة الناس... ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٣١٣)

(٢) قصة دراستي القرآنية، ص ١٨

(٣) هو أبو عبد العزيز ولي الله أحمد بن الشيخ أبي الفيض عبد الرحيم بن وحيد الدين الدهلوي الهندي، ولد سنة ١١١٤هـ في قرية بُهلَف من أعمال الولاية الشمالية بالهند، صاحب تصانيف كثيرة، حجج قواطع علي تبحره وبراهين سواطع علي تبصره، منها الفوز الكبير في أصول التفسير بالأردية نقله إلى العربية الشيخ سليمان الحسيني الندوي، ونشرته دار البشائر الإسلامية ببيروت، وتوفي سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢ بمدينة دلهي ... ينظر: مقدمات أبي الحسن الندوي، من إعداد سيد أحمد الغوري (١/ ٣٠) دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

ألا يشعر فيه –اليوم– بالجدة والابتكار، ولكنها كانت في القرن الثاني عشر آراء ونظرات جديدة، ولا تزال هذه الآراء غريبة مجهولة في كثير من الأوساط[١].

١٠– ترجمة معاني القرآن الكريم للشيخ شاه عبد القادر الدهلوي (ت ١٢٣٠هـ)[٢]

يعتبره من أفضل وأدق الترجمات لمعاني القرآن، يقول: وإنه من التقصير والجحود والنكران العظيم إذا لم تذكر كتاباً أخر –في التفسير– وإن لم يكن مفصلاً، غير أنه أنموذج عظيم لفهم القرآن الكريم، وهدية نادرة لطلاب التفسير، إنه ترجمة معاني القرآن الكريم للشيخ شاه عبد القادر الدهلوي، التي لا يقدرها حق قدرها، ولا يدرك قيمتها إلا الذين درسوا التفسير دراسة مستفيضة شاملة، وعلي مستوى عال، ويقدرون خطورة موضوع " مشكلات القرآن" ويعرفون أنواع الصعوبات والعقبات التي تواجه المفسرين في تأدية بعض معاني القرآن الكريم، وشرح بعض مقرراته، وتفسيره، فإذا قرأوا ترجمة الشيخ عبد القادر لمعاني القرآن قدروا مدى براعته وإتقانه ونجاحه في المرور بهذه المشكلات والعقبات –الخاصة بالترجمة والتفسير– بسلام وفي يسر[٣].

١١– روح المعاني للألوسي (ت ١٢٧٠هـ)[٤]

---

(١) من تقديمه لكتاب الفوز الكبير، ضمن كتاب مقدمات أبي الحسن الندوي (١/ ٣٩٩)

(٢) هو الشيخ الإمام الكبير عبد القادر بن شاه ولي الله الدهلوي، كان عارفاً بالله بارعاً في العلوم الدينية، فقد انتفع بعلمه الغزير وسلوكه الرشيد ألوف من الناس، ومن أعظم منن الله عليه أنه وفق لترجمة معاني القرآن إلي الأردية، توفي بدهلى عام ١٢٣٠هـ.

ينظر: تعليق سيد عبد الماجد الغوري علي كتاب قصة دراستي القرآنية للندوي، هامش ص ٢٢

(٣) قصة دراستي القرآنية، ص ٢٢، ٢٣

(٤) المسمى: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الألوسي، أبو المعاني توفي سنة ١٢٧٣هـ.

كان يرجع إليه كثيراً إبان فترة تدريسه للتفسير بدار العلوم لندوة العلماء، يقول: ولما فوض إلي شخصي المتواضع تدريس مادة التفسير بدار العلوم لندوة العلماء، سنحت لي فترة دراسة التفسير بشكل أكثر تعمقاً وتدبراً، وأعظم عناية واهتماماً، وقد أسعفني " روح المعاني" للألوسي كثيراً[١].

١٢- مقالة التمهيد لسورة الكهف للشيخ مناظر أحسن الكيلاني (ت ١٣٠٩هـ)[٢]

تأثر بها حين كان يكتب عن تأملاته في سورة " الكهف".

يقول الندوي: وقد أثارت هذه المقالة -مقالة الشيخ مناظر- الرغبة في الحديث عن السورة العظيمة، وصلتها بالعهد الأخير وفتنته...وما في ذلك من الدروس والعبر، ورأيت أن أقيد ما يجول في خاطري، وما يفتح الله به علي في فهم هذه السورة، مستعيناً بما جاء في مقالة العلامة الكيلاني -الذي أعتبره من أساتذتي وشيوخي، وإن لم تكتب لي التلمذة التقليدية - من النكت البديعة والتوجيهات البليغة، ولطائف القرآن الدقيقة وليس ما أكتبه تفسيراً لهذه السورة علي أسلوب المفسرين، إنما هي تأملات ونظرات عامة في هذه السورة العظيمة[٣].

---

(١) قصة دراستي القرآنية، ص ١٩

(٢) مُناظر أحسن الكيلاني ولد في سنة ١٨٩٢م في رية الكيلاني في محافظة بتنة في الهند، درس العلوم الإسلامية في جامعة ديونيد الإسلامية في الهند، ثم عين أستاذاً فيها، ثم عين رئيساً لقسم الشريعة في الجامعة العثمانية في حيدر آباد وقد نال احتراماً منقطع النظير وحباً من طلبة العلم والعلماء لدقة فكره وتبحره في العلوم الإسلامية، وله مؤلفات قيمة منها كتاب: تدوين الحديث، توفي سنة ١٩٥٦م.

ينظر ترجمته في مقدمة كتابه: تدوين الحديث من ص ١٣ إلي ص ١٩ ،نقله من الأردية إلي العربية د/ عبدالرازق اسكندر وقدمه د/ بشار عواد، نشر دار الغرب الإسلامي - بيروت ٢٠٠٤.

(٣) المدخل، ص ١١٢

١٣- أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي (ت ١٤٣٩هـ)[١]

يقول الندوي عن هذا الكتاب: فجاءت هذه الرسالة –علي قصر قامتها وكبر قيمتها– تنوب عن المكتبة القرآنية في موضوع أقسام القرآن بصفة خاصة، مع احتوائها علي لطائف مفتحة للقريحة ومنيرة ومثيرة لإمعان الدراسة في القرآن والتدبر فيه من جديد[٢].

١٤- المنار لرشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)[٣]

يقول الندوي: وتفسير "المنار" للعلامة رشيد رضا جدير بالاستفادة ويمكن أن يستعان به بخصوص المباحث والأفكار الجديدة[٤].

(١) هو العلامة المفسر الأديب اللغوي الشيخ/ عبد الحميد الفراهي، ولد سنة ١٢٨٠هـ في قرية (فَرِيْها) من قرى مدينة أعظم كره بالهند، برع في الآداب العربية، وفاق أقرانه، وقرأ دواوين الجاهلية كلها، له تفسير سماه: نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، توفي سنة ١٣٤٩هـ.
ينظر: مقدمات أبي الحسن الندوي (١/ ٤٥)

(٢) من مقدمة أبي الحسن الندوي لكتاب أقسام القرآن للفراهي، ينظر: مقدمات أبي الحسن (١/ ٥٢).

(٣) بداية هذا التفسير كان اقتراحاً من رشيد رضا لأستاذه محمد عبده بإلقاء دروس في التفسير، فوافق، وكان يدون ما يسمعه من التفسير ويهذبه ثم ينشره في مجلة المنار، ولهذا عرف بتفسير المنار، وقد وصل محمد عبده إلي الآية ١٢٥ من سورة النساء، ثم توفي ثم استمر رشيد رضا حتى وصل إلي الآية ١٠١ من سورة يوسف ثم توفي وطبع هذا التفسير في اثنى عشر مجلداً.
ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٤٣٣)

(٤) قصة دراستي القرآنية، ص ٢٠

١٥- التفسير الماجدي لعبد الماجد الدِّريابادي (ت ١٣٩٧هـ)[١]

هذا التفسير يحتوي علي كثيرة من المعلومات المفيدة لدارسي القرآن الكريم.

يقول الندوي: وكان تفسير الأستاذ عبد الماجد الدريابادي لم يصدر بعد وكانت تعد هوامشه بالانكليزية آنذاك، وكنت أسافر -أحياناً- إلي درياباد -وطن الأستاذ- أراجعه فيما يعرض لي من اشكالات تتصل بالتأريخ القديم أو الأديان والصحف الأخرى، فيزودني الأستاذ بمعلومات قيمة عظيمة النفع، وإنها الآن مثبوتة مدونة في " التفسير الماجدي"، ولا شك أن دراستها والاطلاع عليها ينفع طالب القرآن الكريم غاية النفع، وبالأخص الذين لا يجدون وقتاً أو وسيلة لمراجعة المصادر الأصلية[٢].

٥- تدريس القرآن من غير ارتباط بمفسر:

القرآن الكريم سهل ميسر، يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[٣]، لكن القلوب المقفلة والنفوس المريضة لا يتيسر لهما هذا التفسير (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[٤]، والشيخ الندوي -رحمه الله تعالى- يرى أن القلب السليم هو مفتاح التعامل مع القرآن الكريم، وهو أفضل تفسير لكتاب الله -عز وجل-، يقول الندوي: وقد سبقت دار العلوم (ندوة العلماء) إلي تدريس متن القرآن الكريم، كمادة مستقلة، ومن غير ارتباط بكتاب خاص في التفسير، حتى يستوعب

---

(١) أحد كبار المفسرين في الهند، كان واسع الاطلاع علي العلوم الإسلامية ملماً باللغة العربية والانجليزية والأردية، توفي سنة ١٩٧٧م.

ينظر: تعليق سيد عبد الماجد علي كتاب: قصة دراستي القرآنية، هامش ص ٢٢، ٢٣

(٢) قصة دراستي القرآنية، ص ٢١

(٣) سورة القمر: الآية ١٧

(٤) سورة محمد: الآية ٢٤

الطالب دراسة القرآن الكريم من أوله إلي آخره، تحت إشراف معلم توفر علي دراسة القرآن الكريم وتذوقه، ثم يدرس كتب التفسير القديمة في المنهج الدراسي في تفصيل وتحقيق، وقد كانت في ذلك فوائد ومزايا، لا تحصل بربط القرآن الكريم بكتب التفسير ربطاً وثيقاً نهائياً، لا يمكن تصور أحدهما إلا بالآخر، والانطلاق من حدود المنهج الرتيب إلي الجو القرآني الفسيح(١).

إن للمؤلف تجربة عملية، واقتراحاً مخلصاً، في صدد الصلة الشخصية المباشرة بالقرآن الكريم، والعلاقة القوية معه، وتذوقه والتجاوب معه، والاستفادة منه أكثر فأكثر، والتقرب به إلي الله، والرقي عن طريقه في مدارج التوفيق.

وهو أنه ينبغي أن يشتغل بالقرآن الكريم –قدر المستطاع– مباشرة بدون وساطة ويتلى متنه أكثر ما يمكن، ويستمتع بقراءته، وإلا فليرجع إلي الحواشي والملاحظات التفسيرية المختصرة، ويحاول تلاوة القرآن الكريم، وفهمه وتدبره وتذوقه من دون اعتماد وتعويل دائم علي تفسير إنساني، ومراجعة كثيرة لكتب التفاسير، ويكتفي بذلك إلي مدة ما من الزمن، ويحمد الله –تعالى– علي ما يفتحه عليه من فهم كتابه، وما يوفق إليه من تلاوته، حمداً كثيراً.

يجتنب في ذلك –عدا مواضع الحاجة إلي البحث العلمي أو إزالة شبهة– البحوث التفصيلية الخاضعة للاتجاهات العصرية، أو العصبية الجماعية، السياسية أو القيادية، أو التفكير الناشئ من دراسة العلوم الحديثة أو الحضارة الغربية، إذ أنه تطغى –أحياناً– علي ينبوع القرآن

(١) المدخل إلي الدراسات القرآنية لأبي الحسن الندوي، ص ٧

النقي الصافي، ظلال العقول والعلوم الإنسانية والأغراض الجماعية أو القيادية، كما تغشى علي العين الصافية النقية ظلال الأشجار الكثيفة الوارفة، ثم لا تبقى فيه تلك العذوبة واللذة، والأصالة والشفافية التي هي جوهر القرآن وروحه.

بل لقد أثبتت التجارب أن القارئ يتأثر –أحياناً– بتفهم إنسان ألمعي فاضل وتفسيره –وقد يكون معجباً به من قلبه– أكثر مما كان ينبغي له أن يتأثر بالكلام الإلهي الأصيل، ويتسرب إلي ذهنه وشعوره، أو من منفذ من المنافذ المختلفة، أنه لولا هذا التفهم والتفسير لم يظهر هذا الجمال القرآني الذي أتمناه ولم تتجل لي عظمته وجلاله وروعته، وأقل ما يتمكن من خاطره هو أنه يتعود علي النظر إلي القرآن الكريم بمنظار تفسير إنساني خاص، أو قل بمنظار أحد المفسرين والشراح أو القادة والدعاة[١].

إن القرآن الكريم لا يفتح باب فهمه الأصيل إلا إذا خاطب الإنسان بهذا القرآن، صاحب القرآن –جل جلاله– بدون حجاب ولا استتار، وطريق ذلك كثرة التلاوة للقرآن الكريم، والاهتمام بالنوافل، ومجالسة عباد الله الصالحين المتذوقين للذة القرآن الحقيقية، والعارفين بالحقيقة، الذين خالط الكلام الإلهي لحمهم ودمهم، وسيطر علي عقولهم وشعورهم، وجرى حبه وتأثيره فيهم مجرى الروح والدم.

فالحاجة ماسة إلي أن يتعرف القارئ على هذا الكتاب الإلهي تعرفاً مباشراً، ويستأنس به، ويشغف به، ويشعر كأنه المخاطب –بالذات– من منزل الكتاب سبحانه.

(١) المدخل للدراسات القرآنية، ص ١٥٠

وما أخطأ الشاعر الأردي حينما قال: لا يستطيع الرازي ولا صاحب (الكشاف) أن يحل العقدة، ويفكأ المعضلة، ما لم ينزل علي قلبك –أنت– الكتاب[٢][١].

٦– مطالعة كتب التفسير لا تولد التذوق:

الشيخ الندوي –رحمه الله تعالى– يرى أن الاعتماد علي كتب التفسير حدها لا تربي ملكة التذوق القرآني.

يقول عن الشيخ الدهلوي وكتابه " الفوز الكبير في أصول التفسير": إن بعض الأصول والكليات التي سجلها الإمام الدهلوي بناءاً علي ذوقه ووجدانه وإدراكه لمغزى القرآن، لا يمكن الحصول عليه بمطالعة مئات الصفحات في الكتب الأخرى.

وإن تصريح الإمام الدهلوي في مقدمة هذا الكتاب صحيح مئة في المئة.

يقول: إنه لما فتح الله –تعالى– عليَّ باباً من كتابه الحكيم، خطر لي أن أقيد الفوائد النافعة التي تنفع إخواني في تدبر كلام الله –عز وجل– وأرجوا أن مجرد فهم هذه القواعد يفتح للطلاب طريقاً واسعاً إلي فهم معاني كتاب الله –تعالى– وأنهم لو قضوا أعمارهم في مطالعة كتب

(١) يشير إلي قوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) البقرة/ ٩٧، وقوله تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) الشعراء ١٩٣، ١٩٤، أي: الملك يقرؤه علي النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلي قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه.
ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١/ ٤٣) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٢) قصة دراستي القرآنية، ص ٢٤

التفسير أو قراءتها علي المفسرين لا يظفرون بهذه القواعد الضابطة، والمضامين المترابطة[١].

٧- أسلوبه الخاص في الدراسات القرآنية:

القارئ لكتابات الندوي -رحمه الله تعالى- يلمس في أسلوبه السهولة والوضوح والدقة، مع السلامة من الأخطاء اللغوية، والبعد عن حشر المعلومات الجافة التي لا تمس القلب، ولا تحرك الوجدان، بل يكتب ما يفيد المسلم ويقرب قلبه إلي القرآن، يكتب بشعور حي وإحساس فياض، فهو حين يكتب يتخيل أن الأسلوب ينبض بالحياة، والشاعر يقول معبراً عن ذلك: إنني أتصور الأدب كائناً حياً، له قلب حنون وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، وله عقيدة جازمة، وله هدف معين، يتألم بما يسبب الألم، ويفرح بما يثير السرور، فإن لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميت خامد [٢].

ولذلك كتب الله -تعالى- لكتبه القبول والتأثير في الناس؛ لأنه فاض بها قلبه قبل أن يفيض بها لسانه وقلمه.

كما أن القارئ يرى في أسلوبه المسحة الأدبية مع متانة التعبير - دون إخلال بالجانب التفسيري- مع إمتاع القارئ.

والقرآن الكريم نفسه أعطى هذا الجانب -جانب الإمتاع- حقه من الاهتمام، حتى قيل: إن الإمتاع الوجداني من الغايات الأساسية التي يهدف إليها الأسلوب القرآني [٣].

---

(١) التقديمات (١/ ٣٩، ٤٠)

(٢) نظرات في الأدب الإسلامي لأبي الحسن الندوي، ص ١٠٥، دار البشير، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤١٨/١٩٩٧م.

(٣) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز، ص ١٠٣ ، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٣٢٦/٢٠٠٥م .

ولعل –والله أعلم– سر رشاقة أسلوب الندوي، وتحليله الدقيق لكلمات القرآن، وعظمة تأثيره، هو قوة إيمانه وصفاء نفسه.

يقول –رحمه الله–: إن الإيمان وصفاء النفس، والاشتغال بالله –تعالى– والعزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء الحس، ولطافة النفس، وعذوبة الروح، ونفوذاً إلي المعاني الدقيقة، واقتداراً علي التعبير البليغ، فتأتي كتابته قطعة من نفس صاحبها وصورة لروحه [١].

ولذلك نجد أنه في كتاباته التفسيرية اختار منحى مختلف، فلم يركز علي البحوث اللغوية أو البلاغية أو الكلامية أو الفلسفية أو الفقهية، ولم يشغل نفسه بالموازنة بين الآراء... وإنما يجعل جل اهتمامه بالهدايات التي في الآيات، يسوق هذه الهدايات وتشعر كأن كل حرف من حروفها، وكل نقطة من نقاطها، بل وكل نبرة من نبراتها مغسولة بصدق الإيمان، مصقولة بالحب والحنان [٢].

- **أمثلة من أسلوبه:**
  - عند قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [٣]

يقول تحت عنوان: مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل، يتبادر إلي الذهن في بادئ ذي بدء أن تستخدم كلمة " الإسلام " في موضع " السلم " وهو " ادخلوا في الإسلام كافة " ولكن أمرهم بالدخول في " السلم " كافة، وهي أن تكون المعاملة مع الله تعالى معاملة استسلام

(١) نظرات في الأدب الإسلامي لأبي الحسن الندوي، ص ٢٣

(٢) من مقال للعالم خليل الأميني، منشور في مجلة " الصحوة الإسلامية " العدد الخاص بالعلامة الندوي، العدد (٣٦) ص ١٣٥، ١٣٦

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٨

وانقياد وخضوع كامل.... فيمكن أن يدعي الرجل الإسلام، ويعترف بعبديته، ثم يعادي ربه في بعض أموره، ويخالفه في بعض أحكامه، فمثلاً يقيم عبد من عباد الله تعالى علاقة العبودية مع الله تعالى، ولكن بشئ من التحفظ ويشرك رضاه وهواه في هذه العلاقة، يشهد أن الله حق، وأن الحساب حق، والحشر حق، ولكن يعيش باستقلال وحرية في الحياة الاجتماعية والأسرية، وفي الثقافة والمبادئ العامة، وفي العلاقات مع الأقارب والأصدقاء، والمعاملات التجارية، فلا يقبل الله تعالى هذه العلاقة المتحفظة المشروطة، فكأن الآية نزلت لإيضاح تلك النكتة، وفيها عبرة وجرس إنذار لأصحاب هذه العلاقة بالله، إن الله تعالى يقول: (ادخلوا في السلم كافة) فإن المشاطرة في هذا المجال غير مقبولة أن يقول القائل: أقبل هذا ولا أقبل ذاك، أستسلم لهذا ولا أستسلم لذاك، إن الداخل في المسجد يدخل بكل جسمه وبكل أعضائه، فإذا قال القائل: إنه يضع قدميه داخل المسجد، وأما جسمه فيكون خارج المسجد، أو أنه يطرق رأسه داخله، ويبقى جسمه في خارجه، أو قال: إذا أمرتني بالقيام فعلى العين والرأس، ولكن لا يمكن لي الركوع والسجود، فإني أرى فيه إهانة للإنسانية، وأشعر بالخيبة والفشل، وتنازلاً عن الاعتزاز بالنفس، فإن هذه العبادة لا تستحق أن تسمى بالصلاة، بل هي كلمة فيها كفر وجحود، وطريقة فيها طغيان وبغي... يتحتم عليك أن تدخل في العبودية الكاملة من غير استثناء، ولا يقبل الله تعالى أن تقول: إن هذا لي، وهذا لك، وإنما له كل شيء....." (١)

(١) دراسات قرآنية، للندوي، إعداد سيد عبد الماجد الغوري، ص ١١٣، ١١٥

- وعند قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)[1]

يقول تحت عنوان: كفران النعمة وحب العسير الشاق طبيعة معوجة مريضة.

إن من مواطن الضعف في طبيعة الإنسان أنه إذا استمرت به حال واحدة من النعمة والراحة والخير: يملها ويسأمها –رغم ما تحمل له من لذة ورفاهية وراحة– ويريد التغيير والتبديل مهما كلفه من ثمن باهظ وجر إليه البلاء والمحن. هذا هو الحال الذي أشار إليه القرآن الكريم بلفظه: (بطرت) في قوله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا)[2]، وهذه هي قصة سبأ التي أنعم الله عليها بكل الخيرات وعبد طرقها وملأها أمناً وراحة: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ)، فكفروا بهذه النعمة ولم يقدروها حق قدرها: (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)

ليس هذا من السفر في شيء! نخرج، نأكل ونشرب، ونتحدث وإذا بنا نصل إلي منزلنا، بل لا بد أن يكون السفر طويلاً ومع كلفة ومشقة، فكان أن سلب الله تعالى منهم نعمهم وخيراتهم وجعلهم أحاديث ومزقهم كل ممزق. (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)

(١) سورة سبأ: الآيتان ١٨، ١٩

(٢) سورة القصص: الآية ٥٨

إنني أشعر في كثير من البلاد الإسلامية والعربية والمجتمعات الإسلامية بوجود هذا المرض (البطر)، فحيثما تلتفت تسمع هتافاً بـ (هل من مزيد؟ وهل من جديد؟) – وليس هتاف: هل من مزيد؟ بأشد خطراً من هتاف: هل من جديد؟، ومهما كانت الأوضاع والظروف، فإن أحب هتاف لدى الناس (عاشت الثورة)، وليست هذه الهتافات إلا بمثابة أخطار وابتلاءات تحيق بشعب أو بلاد، فلا يبقى أي تمييز بين الصالح والطالح، والأمن والفساد، والنصح والغش، ولا يبقى أي تفكير في العواقب والنتائج. إن هذا المنهج من التفكير وهذه النفسية المتقلبة التي لا تستقر علي حال مصدر خطر كبير، وقد يؤدي إلي مصير قوم سبأ من الدمار والهلاك: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ)[١].

٨- التذوق القرآني دافع للتأليف:

تختلف أسباب التأليف في مختلف العلوم، وتتنوع دواعيه، وقد ذكر الشيخ أبو الحسن أن السبب المباشر في التأليف في بعض الدراسات القرآنية، هو شعور المؤلف بالتذوق، فيدفعه تلقائياً إلي تسجيل الأفكار والمعاني فيقول عن كتاب "التبيان في أقسام القرآن لابن القيم"[٢]:

وهو – في حدود علم كاتب التقديم[٣]– أول كتاب مفصل علمي مؤسس علي الدراسة العميقة والتدبر في القرآن الكريم، واستعراض لأنواع الأقسام.. يدل علي عمق دراسة المؤلف وتذوقه للقرآن[٤].

(١) تأملات في القرآن الكريم لأبي الحسن الندوي، ص ٧٥، ٧٦، والآية من سورة إبراهيم: الآية ٢٨

(٢) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن جرير، المشهور ابن قيم الجوزية، أو ابن القيم، ولد سنة ٦٩١هـ، من أنبه تلاميذ ابن تيمية، كثير التصانيف، منها: زاد المعاد في هدي خير العباد، توفي سنة ٧٥١هـ. ينظر: الفي بالوفيات للصفدي (١/ ٢٦١)

(٣) يقصد نفسه في تقديمه لكتاب إمعان أقسام القرآن للفراهي، ينظر: التقديمات (١/ ٥٠)

(٤) المقدمات (١/ ٥٠)

ويقول عن كتاب " إمعان في أقسام القرآن" لعبد الحميد الفراهي: وقد جمع هذا الكتاب بين التدبر الطويل العميق في دراسة القرآن والتشبع بروحه، والاطلاع الواسع علي أساليب البيان والبلاغة والاطلاع علي تعبيرات الصحف السماوية.... وتذوق للكلام العربي فجاء هذا الكتاب – علي صغر حجمه– يجمع بين إزاحة بعض الحجب التي طرأت علي هذا الصنف من الإعجاز القرآني، وبين مادة ثرية من الأصول الأدبية.... ولا يتأتى هذا إلا لمن جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، وبين التذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية[١].

ويقول عن كتاب " الفوز الكبير في أصول التفسير " للدهلوي: وإن بعض الأصول والكليات التي سجلها الإمام الدهلوي بناءاً علي ذوقه ووجدانه وإدراكه لمغزى القرآن لا يمكن الحصول عليها ومطالعة مئات الصفحات في الكتب الأخرى[٢].

(١) المقدمات (١/ ٥٣، ٥٤)
(٢) المقدمات (١/ ٣٩)

ويقول عن كتاب " فضائل القرآن للكندهلوي "[١]

فنشط لهذا التأليف الذي كان ميسوراً له بحكم اشتغاله بتدريس الحديث، والتأليف في مقاصده، ولسعة اطلاعه علي مصادر هذا الموضوع ومراجعه، وبحكم ذوقه القرآني الذي امتاز به بين أقرانه، فكان نتيجة كل ذلك هذا التأليف المبارك الذي نتشرف بتقديمه، وقد كان السر في تأثيره أنه صادر عن ذوق وإخلاص وعمل، فهو لا يدعوا إلي شيء لا يعمل به، ولا يحث علي شيء لا يتذوقه ولا يؤمن به[٢].

ويقول في مقدمة كتاب " تأملات في القرآن الكريم":

لم يزل صاحب هذه التأملات يدين لهذا الكتاب العظيم، في ثقافته وتدبره، وكتاباته وبحوثه ومؤلفاته، وفي خطبه الشعبية، ومحاضراته العلمية، ما لا يدين لأي كتاب أخر.... وقد كان الفضل الأكبر في ذلك – بعد توفيق الله تعالى– لتلاوته للقرآن الكريم، وتدبره فيه، مكتفياً بمتن القرآن، مستشعراً إعجازه، وحيويته وخلوده[٣].

وحتى في تقديمه للكتب يرى أنه لا بد للمقدم إحساس وشعور بموضوع الكتاب، يقول: فلا بد أن تكون بين المقدم للكتاب وبين موضوعه صلة علمية أو ذوقيه...[٤] .

---

(١) هو الشيخ المحدث الكبير العلامة محمد بن زكريا بن الشيخ محمد يحي الكندهلوي، ولد سنة ١٣١٥هـ، في أسرة عريقة في العلم والدين، بلغ في علم الحديث مبلغاً عظيماً، وأصبح الحديث أكبر همه، وأعظم غاية لرغبته، وشعاراً يعرف به، غلب علي أسمه، فاشتهر بشيخ الحديث، توفي سنة ١٤٠٢هـ، ودفن بالبقيع. ينظر: المقدمات (١/ ٥٧)

(٢) المقدمات (١/ ٦٤)

(٣) مقدمة كتاب " تأملات في القرآن الكريم " لأبي الحسن ص ٥، ٦

(٤) المقدمات (١/ ٢٠)

٩- دقة التأمل والاستنباط، والإسقاط علي واقع الحياة:

رزق الشيخ الندوي الفهم الدقيق لمعاني القرآن الكريم، والذوق القرآني العالي، والغوص العميق في التأمل يستلهم المعاني من الآيات، ويستنبط منها الأسرار الدقيقة التي تتصل بواقع الحياة الإنسانية، بأسلوب مؤثر غاية في الروعة والبيان مع الالتزام التام بالكتاب والسنة.

١- يقول عند قوله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١]

إن هذه الآية وإن أشارت إلي حادثة خاصة ظهرت فيها قدرة الله –عز وجل–[٢] بأن أحيا ميتة بعد مائة عام غضاً طرياً، وأبقى الطعام –الذي يفسد في الفضاء المفتوح بسرعة– مائة عام لم يفسد ولم يتعفن. فإنني أعتقد أن الآية الكريمة تنطوي علي معنى لطيف أخر، وهو أن الله –عز وجل– قد يحي دينه ورسالته بعد خمودها، وانفصام صلة الشعب والبلاد بها، وفقدان الدفاع عنها وضعف الحمية لها لمدة طويلة قد تبلغ مائة سنة، ويعيد إليها النضارة والطراوة. فإنه إذا كان قادراً علي إبقاء الطعام طيباً شهياً لمائة عام لم يفسد ولم يأسن، فهو قادر –جل شأنه– علي إبقاء دينه بعد مضي مائة أو أكثر عليه، في أوضاع متنكرة

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩

(٢) ينظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٧)، دار طيبة، للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، وابن كثير (١/ ٦٨٧) ، دار طيبة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

وظروف قاسية – حيناً – غضاً صحيحاً. وإنني أرى في هذه الآية الكريمة بشرى سارة بأن الشعوب التي رفعت لواء الإسلام وأرهبت الغرب المستعمر قروناً من الزمن، ستعود إلي الازدهار والحياة والنشاط. (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(١)

٢- ويقول عند قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)(٢)

إن قوله تعالى: " أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي " يقتضي منا أيضاً أن نقف عند حدود الله تعالى، ونتمسك بشريعته في الأخلاق والاجتماع والمدنية والحضارة، فضلاً عن المعتقدات والعبادات، ونحصر أنفسنا في دائرة التعاليم الإسلامية والقيادة القرآنية، وخطوطها ومعالمها الواضحة، ولا يجوز لنا أن نحاكي الغرب اجتماعياً وحضارياً ومدنياً، وأن نكون ظلاً ملازماً له، فقد رزقنا الله –تعالى– مع الأسس والمعتقدات والمبادئ نظاماً كاملاً مستقلاً للمعاملات، وحضارة متميزة فريدة، ومدنية صالحة مستقيمة، يجب أن نتمثل بها تمثيلاً صادقاً، خصوصاً في هذا البلد الذي كان ولا يزال مركز الإسلام، منه طلعت شمس الهداية، وانتشر الإسلام، وفيه يستقر وإليه يعود.....

فكل دين يجرد من الحضارة: دين صائر إلي الانقراض، ومصيره إلي الزوال السريع. وكل دين يرضى أهله بهذا الموقف المتخاذل، فيرضون من الدين بالعقيدة ولا يلجون علي مدنية خاصة هي نتاج هذا الدين، ويقتبسون أو يستوردون مدنية أخرى هي وليدة بيئة أخرى، وسليلة

(١) تأملات في القرآن الكريم، للندوي، ص ٣١، ٣٢، والآية الكريمة من سورة آل عمران: رقم ٢٧
(٢) سورة المائدة: الآية ٣

ديانة أخرى، ونتيجة أحداث وعوامل مرت بها أمة خاصة، أو بلد خاص: فإنهم يفقدون مع الأيام ومع تيار الزمان شخصيتهم، ويفقد الدين الذي دانوا به السيطرة علي نفوسهم وعقولهم، ويكونون صورة صادقة أو نسخة مطبوعة أمينة للأمة التي تطفلوا علي مائدتها، واقتبسوا منها الحضارة ونمط الحياة، وهذا ما نتخوفه اليوم علي العالم الإسلامي الذي يقتبس من الغرب مدنيته وأساليب حياته[١].

٣- ويقول عند قوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[٢]

تاب الله عليهم توبة كريمة[٣]، شرف فيها قدرهم، وغسل عنهم عارهم، وخلد ذكرهم، وبيض وجوههم. وبدأ بالنبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة، وهكذا ألحقهم بأصحابهم الذين سبقوهم ووضعوهم في هذا المكان المشرف الكريم. وما بدأ بذكر النبي – صلى الله عليه وسلم– الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وما بدأ بذكر الذين ساهموا في هذه الغزوة: إلا لإعادة الثقة إلي نفوس هؤلاء الثلاثة ورد اعتبارهم ومكانتهم في المجتمع، ولإزالة ما يسميه علماء النفس اليوم بـ

(١) تأملات في القرآن الكريم، للندوي، ص ٣٣ – ٣٩

(٢) سورة التوبة: الآيتان ١١٧، ١١٨

(٣) انظر القصة لهؤلاء الثلاثة في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، وقول الله –عز وجل–: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) التوبة ١١٨، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

(مركب النقص)، وهي مصلحة عظيمة من مصالح التوبة، ولذلك جاء في الحديث الشريف: " التائب من الذنب كمن لا ذنب له "[١]. وأن التائب يصبح كيوم ولدته أمه. وليست هناك طريق أو أسلوب أقوى وأعمق تأثيراً من الأسلوب الذي اختاره القرآن، وهو أنه قدم ذكر السابقين الراسخين الذين سبقت لهم الحسنى ولم يسقطوا هذه السقطة، يشرفهم ويتقدم عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وبدأ بقوله: " لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين...." إلخ، ليعرف الناس أن التوبة مكرمة وفضيلة، ويحتاج إليها الأنبياء والمرسلون والسابقون الأولون، والمؤمنون الراسخون، والمجاهدون المغامرون لئلا يشعر هؤلاء الثلاثة أنهم منحطون في القدر نازلون في الشرف، ولئلا يلصق بهم هذا العار، ولئلا يشعر المجتمع الإسلامي أنهم غرباء متميزون، وشامة في الناس يشار إليهم بالبنان[٢].

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه ، كتاب/ الزهد، باب/ ذكر التوبة، وقال : قال السندي: ذكره صاحب الزوائد في زوائده، وقال: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، ٢/ ١٤١٩، دار الفكر، بيروت، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي.

(٢) تأملات في القرآن، للندوي، ص ٤٩، ٥٠

المبحث الخامس: أقسام القرآن

- **معنى القسم:**

أحد أبواب علوم القرآن، وقد اختصه بالتأليف بعض العلماء، كابن القيم في كتابه: " التبيان في أقسام القرآن "، وعبد الحميد الفراهي الهند، في كتابه: " إمعان في أقسام القرآن ".

وأقسام: جمع قسم بمعنى الحلف واليمين، وأغلب المعاجم العربية لم تفرق بين لفظي القسم والحلف، واعتبرتهما مترادفان[١]، لكن استقراء الكلمتين في القرآن يمنع هذا الترادف، فقد جاءت مادة حلف في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً، كلها في مقام الحنث باليمين[٢]، أما القسم فيغلب مجيئه في الأيمان الصادقة، وجاء المصدر منه موصوفاً بالعظمة: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[٣] .

القسم عند العلماء:

والقسم عند أغلب العلماء يراد به توكيد الخبر وتحقيقه[٤].

---

(١) جاء في المخصص لابن سيده (٤/ ٧٤) استقمه بالله: استحلفه، دار إحياء التراث العربي أيضا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، وفي التهذيب للأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠م، (٥/ ٤٣) باب الحاء واللام: الحَلْف والحَلِف: لغتان، وهو القسم، وفي الكليات لأبي البقاء العكبري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، (ص٧٤١) " قاسمهما" حلف لهما، وفي اللسان ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (٩/ ٥٣) حَلَفَ: أقسم.

(٢) أسند فعل الحلف غالباً إلي المنافقين، وحين أسند إلي المؤمنين في مثل قوله تعالى: (ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ....) المائدة/ ٨٩، كان بغرض بيان كفارة الحلف عند الحنث.... ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن (١/ ١٦٧، ١٦٨) دار المعارف.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٧٦

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٤٥)، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم،تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ص١٨)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ١٠٤٨)، والبلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها لعبد الرحمن حبنكة (١/ ١٧٢) طبعة دار القلم دمشق، والدار الشامية – بيروت – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل "أقسم" أو "حلف" متعدياً بالباء إلي المقسم به، ثم يأتي المقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ)(١) ، فأجزاء صيغة القسم ثلاثة: الفعل الذي يتعدى بالباء، والمقسم به، والمقسم عليه، ثم اختصر نظراً لكثرة الكلام في القسم، ويكتفي بالباء، ثم عوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة مثل قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)(٢)، وبالتاء في لفظ الجلالة، كقوله تعالى: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)(٣)، وهذا قليل، وأما الواو فكثيرة(٤).

والقسم عند بعض العلماء يُحْمل علي معنى التعظيم؛ أي: تشريف المقسم به وتعظيمه.

يقول ابن تيمية: " وأما إقسام الله –تعالى– بالنجوم، فهو كإقسامه بغير ذلك من مخلوقاته، كما أقسم بالليل والنهار، والشمس والقمر وغير ذلك، وذلك يقتضي تعظيم قدر المقسم به، والتنبيه علي ما فيه من الآيات والعبرة والمنفعة للناس"(٥).

ويقول ابن القيم: " وإقسام الله –تعالى– ببعض مخلوقاته، دليل علي أنه من عظيم آياته "(٦).

ويقول الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ): " ولا يكون القسم إلا باسم معظم "(٧).

---

(١) سورة النحل: جزء من الآية ٣٨

(٢) سورة الليل: الآية ١

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٥٧

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان (ص ٣٠١) مكتبة المعارف – الرياض، وعلوم القرآن، وإعجازه، وتاريخ توثيقه، عدنان زرزور، دار الإعلام – الأردن.

(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦٦/١) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

(٦) التبيان في إقسام القرآن – ص ١٧، ٩٧

(٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٤٥/٣)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٤٩/٢)

ويقول بن العثيمين (ت ٢٠٠١م): " ولابد أن يكون القسم بمعظم، ولابد أن يكون المحلوف به معظماً "[١].

بيد أن إقسام الله –تعالى– بكثير من مخلوقاته، جعل بعض العلماء يستبعدون فكرة تعظيم المقسم به؛ لأنه غير واضح وجه تعظيم هذه المخلوقات، كالقسم بالتين والزيتون "[٢].

ومما لا ريب فيه أن القسم إذا كان بالله –تعالى– أو بصفة من صفاته، فإن وجه تعظيم المقسم به يكون واضحاً جلياً، أما إذا كان بمخلوقاته، فالقسم هنا لا يراد منه التعظيم، وإنما هو لمحض الاستدلال، ذلك أن العرب كانوا يأتون بالمقسم به في كثير من الأحيان علي جهة الاستدلال به، أي: يقصدون بالاستدلال جعل المقسم به شاهداً علي أقوالهم، وليس علي جهة التعظيم، مثل قول عنترة[٣].

والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنني فَرَقْتُ جمعهم بطعنةِ فيصل [٤]

يقصد أن الخيل والفوارس لو سألتهن ونطقن لشهدنا على دعواي[٥].

فإقسام الله –تعالى– بمخلوقاته ليس مقصوداً به أن الله –تعالى– يضع مخلوقاته موضع المعبود المقدس، لا سيما الذي ليس له كبير تقدس كالخيل العادية، والريح الذارية، فإن الله –تعالى– قد صرح بأن هذه المخلوقات طالعة مسخرة، ففي نفس القسم بها دلالة علي أن المراد محض الإشهاد بها[٦].

(١) تفسير جزء (عم)، محمد بن صالح العثيمين، طبعة دار الثريا – الرياض – الأولى ١٤٢٣هـ.

(٢) ينظر: علوم القرآن، عدنان زرزور، ص ٦٢٣

(٣) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى، من أهل نجد، وفي شعره رقة وعذوبة، انظر مقدمة ديوان عنترة، ص٥، شرح الخطيب التبريزي، ص ١٢٧، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٤) ديوان عنترة، شرح الخطيب التبريزي، ص ١٢٧.

(٥) امعان في أقسام القرآن، عبد الجميد الفراهي، ص ٣٣

(٦) امعان في أقسام القرآن، عبد الجميد الفراهي، ص ٤٤

• **موقف الشيخ الندوي من القسم:**

والشيخ الندوي يميل إلي حمل أقسام القرآن على الاستدلال، وليس على التعظيم، واعتبر أن هذا هو اللائق بجلال الله –تعالى–، وبجلال كتابه.

ولم يؤيد الشيخ فكرة التعظيم في المقسم به في القرآن الكريم، فهو يتأمل في دلالة المناسبة التي تكون بين المقسم به والمقسم عليه، ليبتعد عن مسألة التعظيم عند القسم بالمخلوقات، وأما إذا كان القسم بالله – تعالى– أو بصفة من صفاته، فلا يحتاج التعظيم في المقسم به هنا إلي بيان.

فأبو الحسن يعتبر أن هناك علاقة وصلة قوية بين المقسم عليه والمقسم به من المخلوقات.

١ – فمثلاً يقول عند تفسيره لسورة "الضحى"

" وأقسم عليه بالضحى، وهو ضوء الشمس في شباب النهار، ثم بالليل إذا سجى؛ أي: سكن[١]، وأشار به إلي أن الوحي بمنزلة النهار، تقوى فيه الحياة الروحانية وتنمو وتستغل، كما تقوى في النهار الحياة الجسمانية، وقد تعقبه الفترة كما يعقب النهار الليل، تستريح فيه القوى، وتستعد النفوس لما يستقبلها من العمل وتتوق له.

وفي ذلك حكمة بالغة وأصل عظيم من أصول التربية، وتشويقاً لتلقي العلم وإعداداً له.

وفي الحديث: " كان النبي (ﷺ) يتخَولُنا بالموعظة (أي: يعظنا غباً)[٢] كراهة السآمة علينا "[١]، وإلي هذه الحكمة أشار سبحانه وتعالى:

---

(١) روي عن عكرمة وعطاء وابن زيد " إذا سجى " إذا سكن الخلق فيه، مأخوذ من قولهم: سجى البحر: إذا سكن. تفسير الماوردي (٦/ ٢٩٣) دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان.

(٢) " يتخولنا " أي: يتعهدهم ويراعي الأوقات في وعظهم، ويتحرى منها ما كان مظنة القبول، ولا يفعله كل يوم لئلا يسأموا.

ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني (٢/ ٤٤) دار

(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)[٢] ، وحكى الله سبحانه عن الكفار قولهم، ورد عليهم[٣]: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)[٤].

فالشيخ لم يحاول أن يبحث عن وجه التعظيم في الوقتين، وإنما اعتبر أن القسم هنا دليل علي عدم انقطاع الوحي –كما يدعي المشركون– وهذا التأخر طبيعي حتى يكون هناك التهيؤ المستمر، والنشاط المتجدد لتلقي الوحي.

يقول السيوطي: " ومن لطائف القسم في قوله تعالى (والضحى والليل إذا سجى ...) الآيات. أن الله –تعالى– أقسم على إنعامه على رسوله وإكرامه له، وذلك متضمن لتصديقه له، فهو قسم علي النبوة والمعاد، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته، وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل المقسم عليه، وهو نور الوحي

إحياء التراث العربي – بيروت.

والغب: يدل علي زمان وفترة فيه، ومن ذلك أن ترد الإبل يوماً وتدع يوماً. ينظر: مقياس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٧٩) مادة: غب.

(١) الحديث أخرجه البخاري بلفظ: " يتخولنا بالموعظة في الأيام ..." في كتاب العلم، باب: ما كان النبي(ﷺ) يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا. ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: الاقتصاد في الموعظة.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٠٦

(٣) يقول ابن كثير: " لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً " أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما أنزلت الكتب قبله، فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما أنزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين، كما قال تعالى: " وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا " تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٩)

وذكر الزمخشري بعض الحكم في تفريقه، منها: أن يقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه علي حفظ العلم يُلقى إليه إذا أُلقي إليه شيئاً بعد شيء وجزءً عقب جزء. تفسير الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٢)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٤) تأملات في القرآن الكريم، للشيخ الندوي، ص ٧٨، ٧٩، والآية الكريمة من سورة الفرقان: الآية ٣٢

الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودَّع محمداً ربه[١]، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل علي ضوء الوحي، ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه "[٢].

٢- وعند تفسيره لسورة "التين"

رفض اتجاه المفسرين إلي تعظيم هذه المخلوقات؛ لأن هذا لا يناسب السياق، واعتبر أن للقسم هنا معنى آخر.

يقول: " سلك المفسرون في وجد اختيار هذه الأشياء من ثمر وشجر وجبل وبلد، والحلف بها مسلكهم المعروف في سائر أقسام القرآن[٣]، فعُّد للأولين منافع غذائية، وطبية، وآيات الله فيها، وللآخرين فضائل ومناقب[٤]، ولا حاجة لربط قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) وما بعده بالأول على قولهم"[٥].

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٥)، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، وتفسير البغوي (٥/ ٢٦٥)، دار طيبة للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٥٩)

(٣) روي عن الحسن، وعكرمة، ومجاهد: " التين والزيتون" هما المعروفان، وعن قتادة، وابن زيد، وكعب: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس، وعن عكرمة هما جبلان. " وطور سنين" عن الحسن هو: جبل موسى، وعن قتادة: مسجد موسى. " والبلد الأمين " عن عكرمة وقتادة: مكة المكرمة.

ينظر: تفسير الطبري (٢٧/ ٥٠٦)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٤)

(٤) يقول الرازي: أما التين، فقالوا: إنه غذاء وفاكهة ودواء، أما كونه غذاء، فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم، لا يمكث في المعدة يلين الطبع، ويقلل البلغم، ويطهر الكليتين... وأما كونه دواء فلأنه يتداوى به في إخراج فضول البدن... وأما الزيتون فشجرته هي الشجرة المباركة، فاكهة من وجه، وإدام من وجه، ودواء من وجه..... ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ١٠) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ .

(٥) يقصد العلاقة بين المقسم والمقسم عليه.

أما أنا فلا أرى – والله أعلم بأسرار كتابه – إلا أن القسم بهذه الأشياء استشهاداً، ومن التين والزيتون إشارة إلي منبتهما وأرضهما التي يكثران فيها[١]، وهي أرض الشام، وهي مهد النبوة والأنبياء ومنبتهم ومهبط الوحي والملائكة، وموطئ أقدام أولي العزم من الأنبياء، فضلاً عن البشر، ومنهم عيسى بن مريم – عليهما السلام – ومشهد منن الله سبحانه ونعمه على الإنسان، واصطفائه إياه[٢]، وشاهد عين وسمع بما خص الله الإنسان من نعم، وخلقه في أحسن تقويم خُلقاً وخَلقا.

وليس هذا القول ببدع من التفسير والحاد، بل سبقنا إليه حبر الأمة، فقال: التين: بلاد الشام، وربما قال بلاد فلسطين، وقال أيضاً: بيت المقدس[٣].

وقد عدل كثير من أئمة التفسير من كونهما من المأكول إلي كونهما من المواضع والأمكنة، قال الضحاك[٤]: التين مسجد دمشق، والزيتون

(١) وابن جرير بعد أن رجح أن التين والزيتون، على حقيقتهما؛ لأن ذلك هو المعروف عند العرب، لم يستبعد أن يكون المراد منبتهما، إلا أن هذا يعتبر مذهباً لا يؤيده الدليل، يقول ابن جرير: إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون، والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهباً، وإن لم يكن علي صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل... ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٠٣)

(٢) يقول ابن كثير: قال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم. والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران. والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدا صلى الله عليه وسلم. ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٤)

(٣) ينظر قول ابن عباس في تفاسير: الطبري (٢٤/ ٥٠٣) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٧)، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٩هـ، والرازي (٣٢/ ٣١١) .

(٤) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخرساني المفسر، صدوق مات بخراسان سنة اثنتين ومائة، ينظر: طبقات المفسرين للأدنوهي (١/ ١١٠)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٧م.

مسجد بيت المقدس، وقال قتادة[١]: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس[٢].....

أما كونهما من المواضع، فقد دل عليه السياق؛ لأنه تعالى قرن التين والزيتون بطور سنين والبلد الأمين، فدل النظم على كونهما اسماً لموضعين، والعرب يسمون الموضع باسم ما ينبت فيه كثيراً...

قال النابغة الذبياني[٣]:

وهبت الريح من تلقاء ذي أُرُل تُزجي مع الليل في صُرادِها صِرما

صهب الظلال أتين التين عن عُرضٍ يزجين غيماً قليلاً ماءه شَبِمَا[٤]

فكل هذه الأمكنة الطاهرة تشهد بمزية الإنسان واعتدال طبيعته، واستعداده لأكبر مهمة، وحمل أمانة النبوة... والأنبياء أحسن الناس وأعدلهم، وأوسطهم خَلقاً وخُلقا، وهم من هذا النوع الذي يقال له الإنسان، فتشهد هذه المواضع بلسان حالها بصدق قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) التين/٤[٥].

---

(١) هو العلامة الحافظ، أبو الخطاب البصري، الضرير، المفسر، رأس الطبقة الرابعة، قال عنه ابن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء، وكان أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئاً إلا حفظه. توفي سنة مان عشرة ومائة، وقيل: سبع عشرة، وله ثمان وخمسون عاماً. ينظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٤٨)

(٢) ينظر قولي الضحاك وقتادة في تفسير البغوي (٨/ ٤٦٨)

(٣) هو زياد بن معاوية الذبياني، الغطفاني، المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، وكان أحسن الشعراء ديباجة، لا تكلف في شعره، ولا حشو، عاش عمراً طويلاً، توفي سنة ٦٠٥. ينظر: طبقات فحول الشعراء (١/ ٥١) لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، طبعة دار المدني، جدة.

(٤) ذكر شارح ديوان النابغة كرم البستاني: أُرُل: جبل بأرض غطفان، والتين: جبل مستطيل، فهو وصف للجبل بالطول والارتفاع فإذا أتته الريح بالسحاب، فإنما تقع تحته ، وتأتي من جانبه. ينظر: ديوان النابغة ص ١٠١، تحقيق: كرم البستاني، طبعة دار صادر بيروت، ١٩٦٣م.

(٥) ينظر: تأملات في القرآن الكريم للندوي، ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥

وهكذا نجد أن الشيخ يرى أن القسم بالتين والزيتون، ليس مراداً بهما الثمر الحقيقي، بل المراد بهما محل وجودهما، فعبر عن الحال وأراد المحل، واعتمد في ذلك علي أمرين:

الأول: السياق، حيث عطف عليه " طور سنين "، وهو الجبل الذي كلم الله –تعالى– موسى عليه تكليما، " والبلد الأمين " موطن خاتم الأنبياء محمد –صلى الله عليه وسلم– فيكون بذلك قسماً بالبقاع التي شرفها الله –تعالى– بالوحي والرسالات السماوية، وهذا هو المعنى الذي يتناسب مع طور سنين، ومع البلد الأمين.

الثاني: اللغة، حيث إن العرب تعبر عن الموضع باسم الشيء الظاهر فيها، واستشهد ببيت النابغة، وقد ذكر السيوطي في المزهر بيت النابغة مستدلاً به علي أن التين هو الجبل(١).

وبين الشيخ أن القسم بهذه الأماكن ليس مقصوداً به تعظيمها، وإنما المقصود به الاستشهاد على اعتدال الإنسان، فالله –تعالى– أقسم بهذه الأمكنة الطاهرة التي كان فيها مهبط الوحي ليستدل بها علي أن الله –تعالى– خص الإنسان بالاعتدال واستقامة الفطرة وذكاء العقل، فهذه الأماكن التي انطلقت منها الرسالة والنبوة، شاهدة علي أن الإنسان خلق علي الفطرة السليمة والاعتدال القويم(٢)، إذ لا يتأتى لحمل النبوة والرسالة

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (١/ ٤٢٩) دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٢) ولعل الأليق بمعنى " أحسن تقويم " –والله أعلم– هو تقوم الفطرة السليمة، يقول الطاهر بن عاشور: فأفادت الآية أن الله كون الإنسان تكوينا ذاتيا متناسبا ما خلق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضارته، وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المعتبر عند الله تعالى ولا جديرا بأن يقسم عليه إذ لا أثر له في إصلاح النفس، وإصلاح الغير، والإصلاح ، ولو كان هو المراد لذهبت المناسبة التي في القسم بالتين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين، فالمرضي عند الله هو تقويم إدراك الإنسان ونظره العقلي الصحيح. ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٣٩٣)، الدار التونسية، للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

إلا أعدل الناس وأوسطهم خَلقاً وخُلقاً وهم الأنبياء، ولعل سر القسم هنا – والله أعلم- أن تصرفات مظم الناس في عقائدهم جارية على حالة تشبه حالة من ينكرون أنهم خلقوا على الفطرة[١].

والعرب يقسمون بأشياء لم يعبدوها ولم يعظموها، وإنما أقسموا بها على سبيل الاستشهاد، فالهجرس[٢] حين قتل أبيه " جساساً "[٣] قاتل أبيه، قال: وفرس وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثم قتله، فلم يقصد الهجرس تقديس هذه الأشياء التي أقسم بها ولا تعظيمها، وإنما أراد أن يلفت الأنظار إلي أنه لا عذر له في ترك قاتل أبيه حياً ينظر إليه وهو قادر علي الكر والفر، والطعن والضرب، فذكر في قسمه ما يصدق دعواه ويستدل به علي وجوب ما أراد به[٤].

ولعل ما ذهب إليه أبو الحسن الندوي من حمل القسم هنا على الاستدلال – والله أعلم – هو الأليق بجلال الله –تعالى- وبجلال كتابه إذ ليس من الدقة أن يحمل اقسام الله –تعالى- بالمخلوق على أنه تقديس للمخلوق، فهذا التقديس يكون من المخلوق وليس من الخالق، إلا إذا كان القسم بذات الله –تعالى- فإنه تقديس.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٣٩٢)

(٢) هو هجرس بن كليب بن ربيعة التغلبي، شاعر جاهلي، وأبوه كليب بن وائل، الذي ضربت به العرب المثل في العز، فيقول: أعز من كليب بن وائل، وبسبب قتل كليب كانت حرب البسوس بين بني بكر وتغلب، استمرت أربعين سنة. ينظر: معجم شعراء العرب (١/ ٤٩٠) لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ت ٣٨٤هـ – نشر مكتبة القدس، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان من بني بكر بن وائل، شاعر من أبرار العرب في الجاهلية، شعره قليل، وهو الذي قتل كليب بن وائل، فكان سبباً لنشوب حرب طاحنة بين بكر وتغلب، ودامت أربعين سنة، قتل جساس في أواخرها. ينظر: الأعلام (٢/ ١١٩)، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م .

(٤) إمعان القسم في أقسام القرآن ص٣٥، عبد الحميد الفراهيدي.

٣- عند تفسيره لسورة " العاديات "

يقول المفسرون -رحمهم الله تعالى- أقوال في وجه الإقسام بالخيل ووصفها بصفات مخصوصة، كأقوالهم في سائر أقسام القرآن .... (١)

بيد أنه مستقل، لا يفهم من ظاهر الكلام المبين، ولا من سياق الآيات خصوصاً، ولا يرتبط بقوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) الذي يظهر أنه عمود السورة، وقطب الرحى، والذي من أجله سيقت الآيات التي وصف فيها الخيل، وها أنا ذاكر بإذن الله وتوفيقه وجهاً أخر أرجو أن يشرح الصدور، ويزيد في اللذة والحلاوة، ويفتح عليك باباً جديداً من العلم والحكمة والفكرة والعبرة. اقرأ هذه الآيات التي وصف الله فيها الخيل مع قوله تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) مراراً مع خلو الذهن من كل ما قيل فيه، تتنبه سريعاً إلي نكتة، كلما حمدت الله عليها كان قليلا.

ترى أن الله سبحانه يصف الخيل في هذه السورة بأوصاف ويذكر لها أعمالاً، كلها ترجع إلي نقطة، وهي الوفاء والفداء والإيثار لسيدها، فهي التي تفديه بنفسها، وتشقى لنعيمه، وتموت لحياته، ولا تعرف لنفسها

(١) ذهب بعض المفسرين إلي أن المقصود بالعاديات هي الخيل التي تغزو في سبيل الله، وذهب آخرون إلي أنها الإبل في الحج... وذكروا وجه التعظيم في القسم بالخيل، أن الله تعالى أقسم بها متصفة بصفاتها التي ذكرها لينوه بشأنها ويعلي من قدرها في نفوس المؤمنين أهل العمل والجد، ليعتنوا بقنيتها وتدريبها علي الكر والفر، وليحملهم أنفسهم على العناية بالفروسية والتدريب علي ركوب الخيل والإغارة بها، ليكون كل واحد منهم مستعداً في أي وقت كان لأن يكون جزءاً من قوة الأمة إذا اضطرت صد عدو، وكان في هذه الآيات القارعات وأشباه لها، وفيما ورد من الأحاديث التي لا تكاد تحصر، ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدمة فرسان الأرض مهارة في ركوب الخيل.

ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٩/ ٢٠٦) المكتب الإسلامي – بيروت – طبعة ١٤٠٤هـ، وتفسير جزء عم لمحمد عبده ص ١٤٢، ١٤٣ – مطبعة مصر ١٣٤١هـ بعناية الجمعية الخيرية الإسلامية.

ولا لحياتها حقا، ترمي بنفسها في الخطر، وفي النار وفي البحر، وتصبر على الجوع والعطش وتتحمل المشاق، وتوسط به جمعاً، ولا تصوير أبلغ من تصوير الله سبحانه.

تفعل كل هذا مع ربها، وهو ليس لها برب، والذي هو من غير جنسها، والذي يستخدمها أكثر مما يخدمها، وهو الحيوان غير الناطق غير العاقل، فكيف الإنسان العاقل الشريف مع ربه الحقيقي، وولي نعمته، إن الإنسان لربه لكنود!! فللإنسان عبرة في دواجنه، وفي عبيده المسخرة [١] .

فالشيخ يرى أن القسم بالخيل أو الإبل ليس فيه ما يشير من قريب أو بعيد بتقديسها، أو ذكر فوائدهما، أو التسابق على الاهتمام بهما، لأن وجه الربط بين القسم وجوابه لا يوحي بالتعظيم أو التقديس، فالخيل منقادة لسيدها وتفديه بنفسها، وتتحمل المخاطر لأجله، مع أن سيدها لا يملك لها نفعاً ولا ضراً.

فالله -تعالى- أقسم بأوصاف الخيل كدليل علي الوفاء والإيثار، فكيف يجحد الإنسان ربه الذي خلقه فقدره، فكان الأولى به أن يكون عبداً لله يمتثل أمره ويجتنب نهيه.

(١) تأملات في القرآن للندوي – ص ١٠٩، ١١١

الخـاتمـة

وبعد مصاحبة العلامة أبي الحسن الندوي في نظراته وتأملاته في بعض مسائل علوم القرآن، ظهر أن الرجل كان يعيش في رحاب القرآن، متجاوباً مع آياته، متدبراً لمعانيه، يستخرج منه الهدايات بعقل واعٍ وقلب متأثر، ملازماً لبعض كتب التفسير، داعياً القارئ أن يشتغل بالقرآن الكريم مباشرة دون واسطة قدر استطاعته، حتى لا يكون تأثره بالمفسر أكثر من تأثره بالكلام الإلهي الأصيل، ولا يتسرب إلي ذهنه وشعوره أنه لولا هذا التفسير لم يظهر الجمال القرآني، وتتجلى عظمته وروعته، ويرى أن الاعتماد علي كتب التفسير وحدها لا تربي ملكة التذوق القرآني، وكان له –رحمه الله تعالى– أسلوباً خاصاً في الدراسات القرآنية، فكان يؤمن بأن رشاقة الأسلوب ودقة التحليل لكلمات القرآن، والنفوذ إلي المعاني الدقيقة، إنما يعتمد علي الإيمان وصفاء النفس، والاشتغال بالله تعالى، والعزوف عن الشهوات.

وكان يعتقد أن السبب المباشر في التأليف في الدراسات القرآنية هو شعور المؤلف بالتذوق، فيدفعه تلقائياً إلي تسجيل الأفكار والمعاني.

وقد رُزق الشيخ الفهم الدقيق لمعاني القرآن، والغوص العميق في التأمل، يستلهم المعاني من الآيات، ويستنبط منها الأسرار الدقيقة التي تتصل بواقع الحياة.

وكان يرى أن القسم في القرآن لا يعتمد علي فكرة تعظيم المقسم به، إنما هو لمحض الاستدلال، فالعرب كانوا يأتون في كثير من الأحيان بالمقسم به علي جهة الاستدلال به.

ولم يكن يشغل نفسه بالبحث عما جاء مبهماً في القرآن الكريم؛ لأنه ليس له أثر في فهم الآية وتفسيرها، وليس هناك حاجة تدعوا إلي تسمية هذه المبهمات.

وللشيخ باع طويل في علم المناسبة من غير اعتساف ولا لوي لعنق النص القرآني، فقد اهتم بثلاثة من أنواع علم المناسبة، فذكر المناسبة بين الآيات، وبين أجزاء الآية، وخاتمة الآية لموضوعها.

ولم يكن -رحمه الله تعالى- يعول كثيراً علي أسباب النزول، وإنما يرى أن السبب الأساسي لنزول القرآن هو الإصلاح والتعليم، وأن سبب النزول قد يأتي لبيان مقتضى الحال.

نسأل الله تعالى أن يرحم الشيخ ويتقبله في الصالحين، وأن يلحقنا به علي خير، إنه سميع مجيب.

أهم المصادر والمراجع

١- رجال الفكر والدعوة، لأبي الحسن الندوي، طبعة دار القلم، الكويت ١٤١٤هـ.

٢- أبو الحسن الندوي، الإمام المفكر الداعية الأديب، سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣- شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، لأبي الحسن الندوي، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٥١م.

٤- إلي الإسلام من جديد، أبو الحسن الندوي، طبعة دار القلم، دمشق ١٤٠٧هـ.

٥- شخصيات وكتب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦- قصة دراستي القرآنية، لأبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧- المدخل إلي الدراسات القرآنية، لأبي الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٨- تأملات في القرآن الكريم، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٩- الصراع بين الإيمان والمادية (تأملات في سورة الكهف) طبعة دار القلم، الكويت، الرابعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠- مدخل إلي علوم القرآن والتفسير، د/ فاروق حمادة، مكتبة المعارف، الرياض.

١١- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة، حازم حيدر، دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ.

١٢- قانون التأويل، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: محمد السليماني، دار القيلة للثقافة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الثالثة ٢٠١٠م.

١٤- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم.

١٥- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٦- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٧- علوم القرآن، تاريخه، تصنيف أنواعه، د/ مساعد الطيار، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الأول ربيع الآخر ١٤٢٧هـ.

١٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٩- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٠- الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف ب " ولي الله الدهلوي "، دار الصحوة، القاهرة، الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٢١- تدوين الحديث، مناظر أحسن الكيلاني، ترجمه عن الأردية د/ عبد الرزاق اسكندر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
٢٢- إمعان في أقسام القرآن، عبد الحميد الفراهي، دار المصنفين، مدينة أعظم كره، الهند ١٣٤٩هـ.
٢٣- مقدمات أبي الحسن الندوي، جمع سيد الغوري الندوي، نشر دار ابن كثير، دمشق ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٤- النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، د/ محمد عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٥- دراسات قرآنية، لأبي الحسن الندوي، جمع سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٦- المخصص، أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٧- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٨- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٩- علوم القرآن، وإعجازه، وتاريخ توثيقه، د/ عدنان زرزور، المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٠- البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حبنكة، طبعة دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣١- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٤- مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين (ت ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة ١٤٢٠هـ.

٣٥- تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

٣٦- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٤هـ.

٣٧- تفسير جزء عم، محمد عبده، مطبعة مصر، ١٣٤١هـ.

٣٨- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٥هـ.

٣٩- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٠- حاجة البشرية إلي معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، أبو الحسن الندوي، دار الصحوة، القاهرة، ١٤١٢هـ.

٤١- النكت والعيون (تفسير الماوردي) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٢- أضواء علي ظهور علم المناسبة القرآنية، د/ عبد الحكيم الأنيس، بحث نشر في دار البحوث للدراسات الإسلامية بدبي، العدد الحادي عشر، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

٤٣- مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مصطفى مسلم، دار القلم ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤٤- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، للحافظ السيوطي، تحقيق: مصطفى ديب، مؤسسة الرسالة، دمشق ١٤٠٣هـ.

٤٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين بن محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٥هـ.

٤٦- إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٧- في مسيرة الحياة، أبو الحسن الندوي، دار القلم، دمشق ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٨- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن والسور، عادل محمد أبو العلاء، بحث نشر في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ١٢٩، السنة السابعة والثلاثون ١٤٣٥هـ.

٤٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٥٠- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل شلبي، نشر عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.